

الإباضية
فجدة امرأة
علماء الإسلام
* قديماً و حديثاً *

* * * * *

إعداد وتحقيق :
بكير بن سعيد أعوش

الإباضية
فجدة مرآة
علماء الإسلام
* قديماً وحديثاً *

* * * * *

إعداد وتحقيق
بكير بن سعيد أعوشيت

1415هـ/1995م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المطبعة العربية

نهج طالبى أحمد - غرداية

تدمك : x - 04 : 9961-908

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

* الإِهْدَاء *

إلى كل مسلم غير على وحدة المسلمين
ومصيرهم....

ملتزمًا بأدب الإختلاف والإنصاف....
معتصمًا قولاً وعملاً بروح هذه الآية
الكريمة : ﴿وَأَنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا
رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:52).

إلى كل هؤلاء : دعاة الوحدة والبناء
والمحبة والسلام.

أهدي هذا الكتاب : كتاب المعرفة،
والتعارف، والإعتراف في ظل الأخلاق القرآنية
الخالدة.

* كلمات مضيئة *

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (الأنبياء: 92).

«أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة.

فلا ترجعنَّ بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني تركت

فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله وسنة نبيه.. ألا هل

بلغت؟ اللهم فاشهد.

كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم» من حديث

الرسول الكريم في خطبة الوداع.

«والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببا للتفرق في الدين

ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء، ولكل مجتهد أجره» (الإمام

الشهيد حسن البنا -الأصل الثامن- رسالة التعاليم).

«إن الإختلاف الذي وقع في سلف هذه الأمة -ولا يزال واقعا-

جزء من هذه الظاهرة الطبيعية، فإن لم يتجاوز الإختلاف حدوده بل

التزمت آدابه كان ظاهرة إيجابية كثيرة الفوائد» (الدكتور طه جابر

فياض العلواني العراقي - أدب الإختلاف في الإسلام ص: 26).

«ونحن ندرس في مدارسنا ومعاهدنا على وجه الخصوص

تاريخا إسلاميا مشوها» (شهاد الإسلام سيد قطب - في التاريخ

فكرة ومنهاج - ص: 57).

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم - والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، الذي أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الخلق العظيم.... والذي قال فيه: ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ «القلم:4». أما بعد : أيها المسلم الماجد... فيسرنا أن نضع بين يديك الكريمتين هذا البحث المجمل، لتجد فيه إن شاء الله ضالتك المنشودة الخالية من الشوائب والخلفيات الذهنية المسبقة التي شوهت الحقائق التاريخية لأسباب سياسية وصراعات جاهلية، نتيجة التناحر على السلطة منذ القديم إلى يومنا هذا...

وعلى أية حال، فإن هذا الكتاب الجديد يعد لبنة تضاف إلى تراثنا الإسلامي من زاوية الفكر الإباضي الذي يعد جزءاً من فكرنا الإسلامي الشامل.

إن الناقد حينما يدرس التاريخ الإسلامي ومدارسه الفقهية والسياسية يدرك بكل وضوح أن رؤيتها الأصلية في المسائل الإعتقادية والإجتماعية قد حرفها وشوهها الخصم لتحقيق أهدافه وطموحاته السياسية ومنافعه المادية، وهكذا أصبح تاريخ أمتنا الإسلامية مشوهاً صنعته أيد الأحداث التاريخية السائدة آنذاك، فلا بد إذن من إعادة كتابة التاريخ الإسلامي في إطاره الشامل بروح نقدية موضوعية، ويمكننا أن نستشهد بقول شهيد الإسلام الإمام سيد قطب رحمه الله : «ونحن ندرس في مدارسنا ومعاهدنا على وجه الخصوص تاريخاً إسلامياً مشوهاً، يجب إذن أن تعاد كتابة التاريخ الإسلامي

على أسس جديدة وبمنهج آخر، يجب أن ينظر إلى الحياة الإسلامية من زاوية جديدة وتحت أضواء جديدة، لكي تعطي كل أسرارها وإشاعاتها، وتتكشف بكل عناصرها ومقوماتها.

في هذه الدراسة الجديدة يجب أن تكون المصادر العربية هي المرجع الأول، والدراسات الغربية هي المرجع الثاني⁽¹⁾.

هذا التصور الشامل للحوادث التاريخية، قد دفعنا إلى أن ننهج منهجًا جديدًا في تأليف هذا الكتاب من خلال أقلام إسلامية غير إباضية... حيث التزمت بالأمانة العلمية، فتجردت من الأحكام المسبقة التي قيلت في الإباضية لأسباب سياسية، ألبست لباس الفكر الخارجي ولباس أصحاب البدع والتطرف الديني.

إن هذه النصوص المباشرة تجعلنا نصصح المفاهيم الخاطئة التي ألصقت بالإباضية معتمدين في ذلك على المقارنة والموازنة والتحليل التاريخي ورد الفكرة المعينة إلى أصولها الأولى بدون لبس وغموض⁽²⁾.

والجدير بالذكر، أن هذه الفكرة ذاتها، قد التزمنا بها في كتيبي السابقة : *دراسات تحليلية في موضوعات فلسفية* أضواء على الأخلاق الإسلامية والمعاصرة *إسلام اليوم بين الأصالة والتحريف* إذ

(1) سيد قطب في التاريخ فكرة ومنهاج ص: 44-57 ط: 10 دار الشروق بيروت القاهرة - 1993م.

(2) إن النصوص الواردة في هذا الكتاب تنسب إلى عدة أعلام : أئمة، أساتذة، دكاترة، وهم لا ينتمون إلى المدرسة الإباضية ماعدا الشيخ علي يحيى معمر رحمه الله... الذي أوردنا له نصًا، نظرًا إلى قيمته الموضوعية والتاريخية .. =

سلطانا الأضواء على عدة علماء أمتنا الإسلامية من خلال نصوصهم
المباشرة كالإمام الشيخ أبي حامد الغزالي والشيخ ابن تيمية والإمام
محمد بن عبد الوهاب والإمام الشيخ أطفيش والإمام عبد الحميد بن
باديس وشهيد الإسلام حسن البنا رحم الله هؤلاء العظام.

ومن هنا، نكون إن شاء الله قد ساهمنا ببعض الشيء في إبراز
أصالتنا الإسلامية، ثم ربطنا بين جيل السلف وجيل الخلف، لأخذ
العبرة المبصرة من ماضيها لنسمد منه النور لحاضرنا ومستقبل أبنائنا،
وهذا لن يكون إلا بالتشبع بالأخلاق القرآنية العظيمة التي تبحث عن
الحق، فتظهره لأمتنا الإسلامية وتدعو إليه بكل إخلاص ونزاهة،
وشجاعة لخدمة قدسية وحدة أمتنا الإسلامية التي تعلو وتسمو فوق
المذاهب الإسلامية كلها : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم
فاعبدون﴾ (الانبياء: 92).

بهذه الأخلاق الإسلامية العظيمة نستطيع أن نقول : إن وحدة
المسلمين فريضة وواجب ديني وأخلاقي ووطني، أما التصدع والتفرق
فهما جرثومة الأمراض كلها : الجهل، المرض، الفقر، الذل، التنكر
الكلبي لكتاب الله والسنة المطهرة ثم الإستكانة أمام أعداء الله :
الصلبية المسيحية والصهيونية العالمية، إن طاقة المسلمين، يجب أن
تبرز وتتحدى، فتحارب من يحارب الإسلام أو من يفسر القرآن الكريم
بالم منظور الغربي الخالص من خلال نظرياته التشكيكية، مادية وجنسية.

=.. ومساهمتها في الدراسات الإسلامية المعمقة إباضية وغيرها.

أما ما جاء في الهوامش وبعض التعقيبات فهي من اجتهادي الخاص، الذي
يحتمل الصواب إن شاء الله... ولن أدعي الكمال، فالكمال لله تعالى وحده.

هذا هو الداء الخطير الذي يهدد وجود أمتنا الإسلامية، وبدون إدراك هذه المشكلة الجوهرية يصفنا الغرب وأنصاره اليهودية والمجوسية بأننا أمة غبية جداً، لا يحق لها العيش والكرامة بل يجب سحق هذه الأمة ومذاهبها كلها لأن أصولها واحدة : القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة...

وعلينا أن نخلص كل أعمالنا لله عز وجل، وأن نعتصم بدينه القويم - هذا هو زاد التقوى والعمل الصالح، وبدون هذا المقياس الحقيقي والجوهري لكل أعمالنا سنعيش في ازدواجية القول والعمل : ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾
«البقرة:197».

وأخيراً نسأل الله التوفيق والعلم النافع والإعتصام بدينه أمام أعداء الإسلام ليصدق فينا قول الحق تعالى : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ «الفتح:29» والسلام.

غرداية : يوم الثلاثاء 27 جمادى الأولى 1415

الموافق لـ 01 نوفمبر 1994

★ الفصل الأول ★

آراء العلماء في اختلاف المذاهب الإسلامية

(أ) تمهيد : الإباضية وأصحاب المقالات القديمة والحديثة :

قبل أن أستعرض هذا الفصل، يجدر بنا أن نقول : إننا قد اعتمدنا على عدة نصوص للإستشهاد كتبها عظماء الفكر الإسلامي حتى لا يقال عنا : إننا نريد تبريراً وانتحالاً لفكرتنا المطروحة هنا، بل نريد أن نظهر الحقيقة كما هي ونصحح المفاهيم الخاطئة لكسر الطوق الذي قيدت به الدراسات الإسلامية حول الإباضية من خلال أصحاب المقالات القديمة، فالناقد النزيه حينما، يقرأ التاريخ الإسلامي العام، لا سيما مذاهبه الدينية قديماً وحديثاً، يدرك إدراكاً واعياً، أنه كتب تحت تأثير السلطة المذهبية الحاكمة، وبالتالي ألصقت به تشويهات ومفاهيم خاطئة في حق الحركات الإسلامية التي وقفت ضد السلطة الحاكمة آنذاك والتي ابتعدت عن الدستور القرآني في أحكامها، ولا عجب في ذلك أن توصف تلك الحركات أو المذاهب من طرف السلطة بأوصاف، أهل الأهواء، وأهل البدع، والمارقة عن الدين والخارجية وأصحاب التطرف الديني...إلخ.

وإذا عدنا إلى المذهب الإباضي نلاحظ أن أصحاب الكتب القديمة قد وصفته بهذه الأوصاف بسبب مواقفه الجريئة ضد السلطة الحاكمة، يقول الإمام الكبير أبو الأعلى المودودي⁽¹⁾ رحمه الله عن

(1) أبو الأعلى المودودي - الخلافة والملك ص:121 دار الشهاب باتنة 1988.

إن المؤسس للدولة الأموية هو معاوية بن أبي سفيان (40هـ - 60هـ) ولما توفي اعتلى ابنه يزيد عرش الخلافة ودامت خلافته ثلاث سنوات من 60-63هـ. ولقد دخل جيشه المدينة المنورة بقيادة مسلم بن عقبة المري .. =

عهد يزيد : إن هؤلاء الحكام كانوا يراعون سلطتهم وبقاءها واستمرارها ويقدمون حمايتها والحفاظ عليها فوق كل شيء فلم يتورعوا - في سبيل ذلك - عن انتهاك أي حد من الحدود وهتك أي حرمة من الحرمات ولو كانت أكبرها وأحصنها.

قامت حكومة مروان وأولاده وفيها وصل تححر السياسة من الدين وانفلاتها منه - بل ذبح أحكام الدين على أعتاب السياسة - إلى المنتهى - ومع أن عبد الملك بن مروان كان فقيهاً كبيراً وكان يعتبر في المدينة قبل حظوته بالملك فقيهاً في عداد سعيد بن المسيب...!

وفي هذا الجو المتعفن أخلاقياً ظهرت سنة 129هـ الحركة الإباضية بزعامة أحد رجالها وهو طالب الحق أبو يحيى عبد الله بن

=.. فقتل 1700 من قريش والأنصار والمهاجرين وأصحاب الرسول لأن أهل المدينة وقفوا ضد الأمويين إذ استباح جيشه المدينة ثلاثة أيام في السلب والنهب والاعتداء على أعراض الناس وأموالهم.

أما مروان بن الحكم فقد تولى السلطة من سنة 64-65هـ وبه نقل الملك من الفرع السفيناني إلى الفرع المرواني.

بالرغم من هذا الظلم فإن الدولة الأموية لها الفضل الأكبر في نشر الإسلام في آسيا وإفريقيا الشمالية والأندلس لاسيما في عهد هشام بن عبد الملك 105-125هـ. (مراجع : تاريخ الأمم والملوك للطبري ج:4 - مروج الذهب ج:2 ص:92 التاريخ الإسلامي العام لعلي إبراهيم حسن.

ب) راجع : المودودي رائد المدرسة القرآنية - في كتابنا إسلام اليوم بين الأصالة والتحرير.

يحيى بن عمر من القبيلة الكندية الحضرية لمحاربة الإنحرافات
الإجتماعية السائدة في الدولة الأموية دينياً، إجتماعياً واقتصادياً.
والجدير بالذكر أن تاريخ الإباضية قد حُرف منذ الأمويين إلى
عصرنا الحديث، حيث زيف لأسباب سياسية خالصة ألبست لباس
الدين.

ومن هنا نجد عدة علماء قديماً وحديثاً عدلوا عن الأخلاق
الإسلامية العظيمة، والبحث العلمي الموضوعي النزيه، وإذا قمنا
بالإستقراء التاريخي، والتعليل المنطقي والنقد اللغوي نجد أن أعظم
الدراسات الإسلامية التي كتبت عن الإباضية قد قلدت الإمام أبا
الحسن علي بن اسماعيل الأشعري المتوفى سنة 330هـ في كتابه
مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، إذ يرى أن الإباضية هم
خوارج وبالتالي هو خارجون عن أهل السنة والجماعة.

وعلى هذا النحو نجد عدة أقلام قلدت رؤية الإمام الأشعري
ومن بين هؤلاء : البغدادي المتوفى سنة 429هـ صاحب كتاب
الفرق بين الفرق، وابن حزم المتوفى سنة 456هـ صاحب كتاب
الفصل في الملل والنحل، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الشهرستاني
المتوفى سنة 548هـ صاحب كتاب الملل والنحل.

أما الكتاب المعاصرون فأغلبهم قد اعتمدوا على تلك
المصادر القديمة دون نقدها نقداً موضوعياً، بالرغم من أنهم قد
تَعَلَّمُوا فَعَلَّمُوا مناهج البحث العلمي والنقد في الجامعات لطلابهم.
ولا بأس أن نشير إلى بعض هؤلاء ومؤلفاتهم : الأستاذ الكريم
أبو زهرة. صاحب كتاب المذاهب الإسلامية، الأستاذ رمضان

البوطي صاحب كتاب العقيدة الإسلامية، الأستاذ عبد الحليم محمود
صاحب كتاب التفكير الفلسفي في الإسلام، الأستاذ صابر طعيمة
صاحب كتاب الإباضية عقيدة ومذهباً، الأستاذ أحمد أمين صاحب
كتاب ضحى الإسلام، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني الذي نسب
إليه... كتاب فتاوي الشيخ الألباني ومقارنتها بفتاوي العلماء، إعداد
عكاشة عبد المنان الطيبي. الناشر : دار رحاب الجزائر.

واعتماداً على ما كتب عن الإباضية من خلال تلك الأقسام
الإسلامية نقول : إن الأمانة العلمية الإسلامية تفرض علينا أن نلتزم
بها بقول الحق تعالى : ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع
والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ «الإسراء:36».
﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ «فاطر:28». وعن أبي هريرة
رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل
ما سمع» رواه مسلم. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قلت يا
رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال : «من سلم المسلمون من لسانه
ويده» حديث متفق عليه

وخلاصة القول أن هذه الدراسات الحديثة قد ربطت المذهب
الإباضي بتاريخ الخوارج وعقائدهم، ونحن قد قمنا بنقد هذه
الدراسات في كتيبي السابقة، ولا حاجة لنا مرة أخرى إلى إعادة ما
كتبناه بالتفصيل ويمكن أن نلخص فكرتنا فيمايلي :

يرى أغلبية المؤرخين أن الإباضية فرقة من فرق الخوارج
وبالتالي فهم أهل البدع والأهواء وأصحاب التطرف الديني...
نحن إذا جئنا أن نحدد الدلالة الخارجية نلاحظ أن لها عدة

معان متباينة دينيا، سياسيا، تاريخيا⁽²⁾، وجهاديا. يقول الله عز وجل :
﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيَّ
بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ «المتحنة:1».

وعلى أية حال فلغة الأدب تحمل عدة مفاهيم متباينة كدلالة
العين تطلق على حاسة البصر، ومنبع الماء، والجاسوس وكبير الأمة.
فحكم لغة الأدب، حكم تقسيمي نسبي يختلف بين الناس
كدلالة الديمقراطية التي لا تزال محل نقاش وصراع منذ القديم إلى
يومنا هذا، بخلاف أن اللغة العلمية أو الرياضية تفرض دلالتها على
كل إنسان لأن حكمها تقريري ثابت بالتجربة الحسية أو العقلية
كقولنا : الخشب يحترق بالنار، أو $2 + 1 = 3$.

والأخطر من كل هذا، أن هؤلاء العلماء، لا يعتمدون في
آرائهم الصادرة عن الإباضية على مصادرهم المباشرة الغنية، أو
الإحتكاك بهم، بحيث لو رجعنا إلى ما كتبه عن إخوانهم
الإباضيين، لوجدنا أن هناك تناقضًا واضحًا جدا عما كتبه وما نسب
إليهم من خلال تلك الدراسات البعيدة عن الأمانة العلمية.

(2) راجع مايلي :

أ - الشيخ علي يحيي معمر رحمه الله : الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة
الأولى - الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم
والحديث.

ب - الشيخ فرحات الجعبري : البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية.

ج - بكير بن سعيد أعوش : دراسات إسلامية في الأصول الإباضية -
حركة أهل الدعوة والإستقامة في مكة والمدينة.

وعلى أي حال، فإن السياسة المرتدة عن أصالة الإسلام هي التي شوهت تاريخ الإباضية وعقائدهم، وبقيت هذه المفاهيم الخاطئة في عقول المسلمين بطريقة شعورية واللاشعورية، تطفح في تصرفاتهم اليومية عند بعض علماء المسلمين فضلا عن عامة الناس.

(ب) الإباضية والفكر الخارجي :

إن الإنسان التقي حقا عليه أن يلتزم بالأخلاق الإسلامية عمليا قرآنا وسنة وعلما، لأنه محاسب على كل فعل صادر عنه يقول الحق تعالى: ﴿وَلْيُحْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الجاثية: 22). وفي هذا المسار التاريخي العام، يجدر بنا أن أحيل علماءنا إلى المصادر الإباضية مباشرة ليصححوا الأخطاء المرتكبة في حق تاريخ أمتنا الإسلامية أخلاقا، وعلما ووحدة، ومحبة.

يقول أبو حمزة المختار الشاري المتوفى سنة 130 هـ :
«يا أهل المدينة، الناس منا، ونحن منهم، إلا مشركا عابد وثن، أو كافرا من أهل الكتاب، أو إماما جائرا»⁽³⁾.

أضف إلى ذلك الرسالة التي بعثها عبد الله بن إباح رحمه الله إلى عبد الملك بن مروان الأموي تبين لنا أن الإباضية تبرأوا من زعيم الخوارج نافع بن الأزرق بن قيس الحروري، لقد جاء في هذه الرسالة مايلي : «إنا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه. لقد كان حين خرج على الإسلام فيما ظهر لنا ولكنه أحدث

(3) أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج: 23 ص: 132.

وارتد وكفر بعد إسلامه فنبهوا إلى الله منهم» (4-1).

وفي ظل هذه الحقائق التاريخية الواضحة، يتبين لنا أن الإباضية كانوا بعيدين كل البعد عن المذهب الخارجي عقائدياً... قولاً وعملاً. ولعل من المفيد أن نورد بعض أقوال علمائه قديماً وحديثاً. يقول العلامة أبو الحسن علي بن محمد البسيوي العُماني المتوفى في نصف القرن الخامس الهجري ما يلي : «ومن أقره الله من الضعفاء، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، دليل على بطلان قولهم : إن كل دار يحكم فيها بغير ما أنزل الله، لا يقبل فيها من أحد حسنة.

فهذا خطأ من الخوارج، وأما تسميتهم إياهم بالشرك والكفر من غير ذنب، والإرتداد، فذلك خطأ عظيم».

وقد قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها حرم عليّ دماؤهم وأموالهم إلا بحقها» حديث متفق عليه.

فهذا ما يبطل قولهم في الهجرة، وفي تحليل أموال أهل القبلة، وأنزل الله سبحانه : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعندَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: 94) - يعني كنتم من قبل مشركين، فمن الله عليكم يعني بالإسلام فتبينوا يعني تبينوا ولا تقتلوا المسلمين.

(4-1) البرادي، الجواهر المنتقاة ص: 165. فهذه الرسالة توجد في الكتب القديمة.

فدل بهذا ما يبطل قول الخوارج في ذلك (4-2).

وأما العلامة أبو يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني (500/570هـ) فيقول: «وزلة الخوارج نافع بن الأزرق وذويه حين تأولوا قول الله ﴿وإن أظعنموهم إنكم لمشركون﴾ (الأنعام: 121) فأثبتوا الشرك لأهل التوحيد، حين أتوا من المعاصي ما أتوا ولو أصغرها» (5).
وأما القطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش (1236/1332هـ) فيقول: «والخوارج قبحهم الله قالوا: إن نصب الإمام غير واجب وأنه يجب على الناس أن يقيموا كتاب الله فيما بينهم» (6)، ثم قال رحمه الله: «التوحيد عاصم لدم الموحد وماله وسببه، ومن أحل مال الموحد أو سلبه أشرك» (7).

ويقول العلامة الشيخ السالمي (1286/1332هـ): «ولا نرى الفتك بقومنا ولا قتلهم في السر وإن كانوا ضلالا، لأن الله لم يأمر به في كتابه ولا نرى أن نقذف أحداً ممن يستقبل قبلتنا بما لم نعلم أنه فعله خلافاً للخوارج الذين يستحلون قذف من يعلمون أنه بريء من الزنا من قومهم وهو بذلك مظلون» (8).

(4-2) جامع أبي الحسن البسيوي ج: 1 - ص: 263 سلطنة عمان - وزارة التراث القومي والثقافة سنة 1984.

ملحوظة: لقد طبع هذا الكتاب أول مرة طبعة حجرية 1304هـ بزنجبار.
(5) الدليل والبرهان ج: 1 - ص: 15.

(6) شرح كتاب النيل وشفاء العليل ج: 13 - ص: 8.

(7) الذهب الخالص ص: 28. - الموحد هو المسلم العاصي.

(8) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ج: 1 - ص: 67.

هذه هي القيم الخلقية العظيمة الصادرة عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي تسمو كل السمو فوق النظرة المذهبية التي مزقت أمتنا الإسلامية إلى طوائف متصارعة حتى أمست دماء المسلمين كلها مهما تباينت مذاهبهم، أرخص من دماء البعوض عند الغير، لأن وحدتنا صورية، عنكبوتية لا أكثر ﴿وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون﴾ «العنكبوت:41».

وهكذا فإن الواقع المر، في العالم يؤكد هذه الحقيقة فدماء المسلمين تسفك وأعراضهم تهتك، فضمير أمتنا الإسلامية تجمد وتصلب وترتك الصليبين يفعلون ما يشاءون في العالم الإسلامي لاسيما في البوسنة والهرسك، لأن هذه الأمة الإسلامية لا تزال تعيش بخلفتها التاريخية وبالتالي أمست بدون وزن في مصير قرارات العالم.

ولا يفهم من هذا، بأنني أزكي الإباضية أو أنهم لم يخطئوا في تاريخهم الطويل بعض الخطأ، ولكن أريد أن أئين وأنصف حقهم التاريخي والمعيشي ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ «النجم:32» ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾ «الأنعام:152».

وهكذا تدرك أيها المسلم الغيور على دينه، أن فضيلة التقوى والعدل هما المقياس الوحيد لكل أفعالنا وأقوالنا وسلوكنا الصادر عنا أو من غيرنا، وبدون هذا سنعيش في جاهلية القديمة والمعاصرة، بحيث أن هناك فئات كبيرة من المسلمين تعتز كل الإعتزاز بانتمائها المذهبي الإباضي أو السني أو السلفي أو الجعفري... إلخ بدون عمل صالح نافع، فإن هذا الأمر في نظر الإسلام هو الخروج عن عبادة الخالق ويقول الحق تعالى : ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم

وَأَبَاؤَكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴿النجم: 23﴾.

وفي ضوء هذه الآية الكريمة نجد فئة من المسلمين يكفرون غيرهم بدعوى أن مذهبهم هو الأقوم والأصح وذلك باتباع أقوال وفتاوي بعض علمائهم ولو جاءت تلك الفتاوي تتناقض مع الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث الشريفة وقدسية الدين وحفظ النفس والمال والعرض، وهذا في نظرنا يعد شركاً وجحوداً ونفاقاً.. لتأمل هذه الآية القرآنية المحكمة : ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «الشورى: 21».

نحن إذن أمام ازدواجية خطيرة جداً، بين حكم الله وحكم البشر، وعلى العالم المسلم أن يتقيد ويلزم نفسه وغيره بالأخلاق الإسلامية الورع، التقوى، العلم. ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ «طه: 114»، ثم الإعتصام بقدسيتها وحدة الأمة الإسلامية التي تكون هي غايتنا القصوى، وأن نؤمن بأن اختلاف المذاهب الإسلامية هي سنة الله في البشر وجوهر هذا الاختلاف لن يحل إلا بالمعرفة والتعارف والإعتراف والمحبة - لتأمل إذن قول الله عز وجل : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ «هود: 118-119».

ولنا العبرة المبصرة من أدب الاختلاف في الإسلام من الإمام مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة رحمه الله (93هـ/179)، إذ أن هارون الرشيد أراد أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل المسلمين على العمل بما جاء به فأجابه مالك بن أنس : «لا تفعل

يأمر المؤمنين فإن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان، وكل مصيب، فعدل الرشيد عن ذلك، رواه أبو نعيم في الحلية.

وبعد هذا وذاك يجدر بنا أن نبين رؤية بعض العلماء في طبيعة الإختلاف المذهبي الإسلامي.

(ج) آراء العلماء في أدب الإختلاف في الإسلام :

(1) - مع الشيخ محمد الغزالي⁽⁹⁾ :

يقول : «هل إختلاف وجهات النظر الإجتهدية يعني تفريق الدين ؟ التفريق المنهى عنه إنما سيكون في أمرين :

خلاف جذري في العقائد وما ووراء المادة والمغيبات، لأن الكلام فيها ليس له سند عقلي عند الناس، ولكنه تطاحن على فهم بدأ لصاحبه... كما يحدث بعض الناس في الأمور التي نعتبرها من وراء المادة ولا مجال فيها للعقل : هل الصفات زائدة عن الذات، أو هي عين الذات أو غير ذلك ؟ ما معنى الإستواء على العرش ؟... هذا كله كلام أرى الخوض فيه يعتبر أولاً : كلاماً لا معنى له ولا لزوم له، وثانياً : لأن الخوض فيه يؤدي إلى انقسام ديني خطير، ومن الخير أن نوفر لأنفسنا وحدة الأمة.

(9) محمد الغزالي : عالم من أكبر علماء الفكر الإسلامي المعاصر وهو مصري، اهتم بدراسة سلوك المسلمين وبين العلل والأدوية، مؤلفاته تزيد على أربعين كتاباً، أهمها : عقيدة المسلم، خلق المسلم، علل وأدوية، فقه السيرة.

ليس هناك من عقلاء المسلمين، بل حتى من العامة في الأقدمين، من قال : إن الخلافات الفقهية تفريق للدين... لم يقل بذلك أحد أبدا... الخلافات الفقهية... خلاف في فهم النص، أو المعنى المقصود وهو أمر يحتمله النص الديني نفسه، فهو واحد ويحتمل هذه المعاني.

في آية مثل : ﴿أَوْ لَأَمْسِثُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ «النساء:43»، هل مطلق اللمس ينقض الوضوء ؟ أو المقصود باللمس معين وهو الإتصال الجنسي.. من قال إن هذا له صلة بأصول الدين أو أنه يمس صلب الدين ؟ لم يقل بذلك أحد.

ما صلة ذلك بحديث : «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين فرقة، وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة» رواه الترمذي وأبو داود.

هذا الحديث ليس من الصحاح، وهو وارد في كتب السنن... وأغلب ظني أن المقصود به الخلافات السياسية التي توهن قوى الأمة، وتهلكها أمام غيرها - رجل يرى أنه يجب أن يكون هو رئيس الدولة، ولا يأبى بأن يحدث شغبا يقسم به الشعب قسمين، ويقاقل هذا بذاك... هذا نوع من الخلافات الذي اعتبره كأنه كفر.

المشكلة أن بعض الناس بدأوا يطبقونه على بعض الخلافات الفكرية والفقهية والسياسية ويسمون الفرقة الناجية... إلخ.

هذا كلام باطل... فلو صح الحديث، فالمقصود منه : الذين ساءت نيتهم وأرادوا تمزيق الأمة أما الذين حسنت نياتهم ويريدون

الخير للأمة فلا دخل لهم بالحديث» (10).

(2) - رؤيتنا : إن الشيخ محمد الغزالي تمكن من أن يعيد للإسلام جوهره وصفاءه من خلال نصوصه الشرعية الواضحة قرآنا وسنة، ولو تأملنا تلك النصوص، سوف ندرك كل الإدراك أن السلطة السياسية هي التي أوجدت تلك الأحاديث لخدمة وجودها، لأن الفرقة الناجية هي كل من التزم بتطبيق أوامر الله عز وجل، فالجزء ينصب على عمل الإنسان وحده فقط، فلن ينفعه، في يوم الحساب أي شيء نسبه وأولاده، عشيرته ومذهبه، ماله وسلطته.. لتتدبر قول الله عز وجل : ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ «المتحنة:3»، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ «الأنعام:94».

وعن الرسول الكريم : «لا يدخل أحد الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا، ولا يدخل أحد النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن، ليكون عليه حسرة» رواه البخاري.

والأدهى من كل هذا، أن هناك من يدعي أن مذهبه على حق وأن أصحاب المذاهب الأخرى كلها في ضلال، بل يجادل غيره جدًّا أعنيًا عقيما، وراء الغيب والمادة لأن كل مذهب له أدلته الشرعية في ذلك، فهل هذا الإنسان المجادل له إيمان راسخ وأخلص

(10) محمد الغزالي - كيف نتعامل مع القرآن - ص: 107-111 دار الانتفاضة للنشر ط:1 الجزائر.

العبادة لله عز وجل، وآمن بعذاب جهنم حقاً، نحن نجزم أنه لم... ولن... يتحمل عذاب الدنيا، فضلاً عن عذاب الآخرة، ونعني بهذا، مسألة الجدل حول عذاب فجّار المسلمين غير الثائبين في جهنم خلودهم، وعدم خلودهم في ذلك الجحيم، فالإنسان المؤمن الورع حق الإيمان، يرفض كل الدخول في ذلك الجدل العقيم، مادامت نتيجته مرفوضة عقلاً وشرعاً ودنيوياً، لو طلبنا من هذا الإنسان المجادل المفتن أن يصبر خمس دقائق فقط على بعض عذاب الدنيا، كمكوته في غرفة ضيقة مظلمة، فراشه جمر، ماؤه نتن حار، أكله حنظل، تلدغه الأفاعي الإستوائية من كل مكان، فهل في استطاعته الصبر على هذا العذاب الدنيوي، فضلاً عن عذاب جهنم، الذي يغمس فيه، والله أعلم بزمانه السرمدى.

إن الصورة المرعبة التي رسمناها سابقاً، تجعل أبداننا ترتعش كلها، نفساً وجسداً، هذه هي الحقيقة الواضحة التي نستخلصها من عذاب الدنيا، وكيف الأمر بالنسبة إلى عذاب جهنم، عذاب الهول⁽¹¹⁾ تأمل أيها المسلم هذه الآيات المفزعة: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِيكَ مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقْوِمِ طَعَامَ الْأَثِيمِ. كَالْمُهْلِ تَغْلِي فِي الْبَطْنِ. كَغَلْيِ الْحَمِيمِ. خَذَوْهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَىٰ سِوَاءِ الْجَحِيمِ. ثُمَّ صَبُّوا فِيهِ مِزًّا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ «الدخان: 41-49». عن النعمان بن بشير، رضي الله

(11) راجع كتاب مشاهد يوم القيامة في القرآن للسيد قطب رحمه الله.

عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا، وإنه لأهونهم عذابا» متفق عليه.

وفي ضوء هذا، نقول : إن الجدل والخصومات في المسائل الغيبية جعلت أمتنا الإسلامية، تعيش في تصدع وجدال عقيم بدون عمل صالح، بل تحول الأمر إلى تكفير أصحاب المذاهب الإسلامية، واستحلال أرواحهم وأموالهم وأعراضهم باسم الفتاوي الصادرة عن بعض علماء خصومهم، والله إن هذا لهو الخروج الصريح عن القرآن الكريم والسنة الشريفة لتأمل قول الله عز وجل: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها، وغضب الله عليه، ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ «النساء: 93». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخدله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» رواه الترمذي.

أخي المسلم فلنحرس من الجدل العقيم الذي هو الداء العضال الذي يسلكه بعض علماء السلطة والزعامة والفتنة والفساد لتمزيق وحدة أمتنا الإسلامية إلى شيع متناحرة، لقد صدق الله عز وجل في قوله الكريم : ﴿أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون﴾ «الأنعام: 65». فقد قال الإمام الأوزاعي رحمه الله : بلغني أن الله إذا أراد

بقوم شراء، ألزمهم الجدل ومنعهم العمل⁽¹²⁾.
وبعد هذه الخلاصة يمكننا أن نسترشد برأي العالم الشيخ حسن
البنّا (رحمه الله) بعد الشيخ محمد الغزالي في مسألة الاختلاف.

(3) - مع شهيد الإسلام حسن البنّا رحمه الله⁽¹³⁾ :

لقد جاء في رسالة التعاليم مايلي :
«كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وآله وكل
ما جاء من السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه،
وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالإتباع، ولكننا لا نعرض
للأشخاص فيما اختلف فيه، بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم وقد
أفضوا إلى ما قدموا.

ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن
يتبع إمامًا من أئمة الدين ويحسن به، مع هذا الإتياع أن يجتهد ما
استطاع في تعرف أدلة إمامه وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل
متى صح عنده صدق من أرشده وكفايته، وأن يستكمل نقصه

(12) عرفان عبد الحميد : دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص: 123 ط: 1.

(13) هو الإمام حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنّا ولد سنة 1906م بمدينة
المحمودية المصرية، له الفضل الكلي في قلب الفكر الإسلامي المعاصر وذلك
بالرجوع إلى أصوله الأساسية وهو يرى أن الإسلام هو عقيدة وعمل، ودين
ودولة وبالتالي يعد الاب الحقيقي للإخوان المسلمين.

أهم مؤلفاته : مذكرات الدعوة والداعية، توفي رحمه الله سنة 1949م.
أنظر كتابنا : إسلام اليوم بين الأصالة والتعريف - المدرسة القرآنية.

العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر. والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببا للتفرق في الدين، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء، ولكل مجتهد أجره ولا مانع من التحقيق العلمي التزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجبر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب.

لا نكفر مسلما أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض برأي أو بمعضية إلا ان أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر. وإذا علم الأخ المسلم دينه في حدود هذه الأصول فقد عرف معنى هتافه دائما القرآن دستورنا والرسول قدوتنا⁽¹⁴⁾.

4 - مع الدكتور يوسف القرضاوي⁽¹⁵⁾ :

يقول الأستاذ الكريم يوسف القرضاوي في كتابه القيم :
الصحة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم مايلي:
«وما يتم الإخلاص لله، والتجرد للحق : أن يتحرر المرء من التعصب لآراء الأشخاص، وأقوال المذاهب، وانتحالات الطوائف.

(14) مجموعة الرسائل للإمام حسن البنا ص: 11-16 مؤسسة الرسالة بيروت.

(15) يوسف القرضاوي : عالم مصري، له مساهمة فعالة في بعث الفكر الإسلامي الأصيل من خلال عدة مؤلفاته أهمها : فقه الزكاة • الحل الإسلامي فريضة وضرورة • الحلال والحرام في الإسلام • أولويات الحركة الإسلامية.

على معنى : أنه لا يقيد نفسه إلا بالدليل، فإن لاح له الدليل
بادر بالإقياد له، وإن كان ذلك على خلاف المذهب الذي يعتنقه،
أو قول الإمام الذي يعظمه، أو الطائفة التي ينتسب إليها.
فالحق أحق أن يتبع من قول زيد أو عمر ومن الناس، وما تعبدنا
الله تعالى بقول فلان من العلماء أو الأئمة، إنما تعبدنا بما جاءنا في
كتابه وما صح عن نبيه ﷺ ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾
«النور:54» التعصب للرأي الشخصي.

وأول ما ينبغي أن يتحرر المرء منه : تعصب لرأيه الشخصي،
بحيث لا ينزل عنه ولو ظهر له خطؤه، وتهافت شبهاته أمام حجج
الآخرين، بل يظل مصرا عليه، مستمسكا به، مدافعا عنه، انتصار
للنفس، ومكابرة للغير واتباعا للهوى، وخوفاً من الإتهام بالقصور أو
التقصير.

وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ الإمام الشافعي الذي قال : والله ما أبالي أن
يظهر الحق على لساني أو على لسان خصمي.
والمتعصب أشبه بامرئ يعيش وحده في بيت من المرايا،
فلا يرى فيها غير شخصه أينما ذهب، يميناً أو يسرة وحده في بيت
وكذلك المتعصب لا يرى - رغم كثرة الآراء - فهو مغلق على
وجهة نظره وحدها، ولا يفتح عقله لوجهة سواها، يزعم أنه
الأذكي عقلا، والأوسع علمًا، والأقوى دليلا، وإن لم يكن لديه
عقل يبدع، ولا علم يشبع، ولا دليل يقنع، وبعض هؤلاء المتعصبين
يرفض مقداً وجهة النظر الأخرى، دون أن يتيح لنفسه فرصة
الإطلاع عليها - بالقراءة أو بالسماع - اطلاعا يمكنه من الإحاطة

بها وإدراك حقيقتها⁽¹⁶⁾. وقد حكى القرآن الكريم نماذج من المتعصبين، منكرًا عليهم ومنندًا بمسلكهم، تحذيرًا للمسلمين أن يحذوا حذوهم.

فقال عن بني إسرائيل : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نَوْمٌ مِمَّا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ «البقرة: 91».

التعصب للمذهب :

ومن التعصب المذموم : التعصب للمذهب، شأن غلاة المقلدين الذين يكادون يضيفون على مذاهبهم العصمة، وعلى أئمتهم القداسة، وهم يبنون تعصبهم هذا على دعائم غير مسلمة لهم. منها : أن التقليد واجب، وخصوصًا تقليد المذاهب أو الأئمة الأربعة. مع العلم المقطوع به : أنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولم يوجب الله ولا رسوله اتباع زيد أو عمرو من الناس بأعيانهما، وإن بلغا في العلم والفضل ما بلغا.

ويلزم من هنا اعتبار أصحاب المذاهب كأنهم شارعون، واعتبار أقوالهم كأنها أدلة شرعية⁽¹⁷⁾ يحتج بها، ولا يحتج لها.

(16) إن هذه الحقيقة تنطبق على أغلبية الكتاب الذين كتبوا عن الإباضية، بحيث لم يتطلعوا على المصادر الإباضية قراءة أو سماعًا أو الرجوع إلى المجتمع الإباضي.

(17) لقد أشرنا سابقًا إلى هذا التعصب المذهبي في دراستنا السابقة حتى أصبحت بعض فتاوى العلماء تعارض الآيات القرآنية الصريحة - انظر كتابنا - ميزاب يتكلم ص: 57.

ولهذا أنكر كبار علماء الأمة ومحققها هذا الغلو في التقليد، الذي كاد يشبه ما فعله أهل الكتاب من اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله⁽¹⁸⁾.

(5) - رؤيتنا : من خلال هذه النصوص الواضحة، تدرك أيها المسلم الكريم أن التعصب المذهبي وعدم قراءة النصوص التي كتبها علماء الإباضية أو مشاهدة سلوك مجتمعهم جعلت أغلبية علماء الإسلام يتجاهلون المذهب الإباضي أو يحرفونه بالرغم من أنه يمثل رافداً من روافد الفكر الإسلامي الأصيل، ليس هدفنا من هذا هو تجميع علماء أمتنا الإسلامية أو إدانة التاريخ الإسلامي ورجاله، ولكن نريد أن نخضع هذا التاريخ للمنهج النقدي الصارم تحت الرؤية الإسلامية لتمييز بين الخطأ والصواب، وبين الحق والباطل يقول السيد جودت سعيد مايلي : «إن موقف المسلمين الآن من التاريخ ليس موقفاً صحيحاً، لأنه لا قدرة لنا على تجنب أخطائه والاستفادة من صوابه، وعلينا أن نميز المنحرف والمخطئ، من الأشخاص، وأن نعرف من الآراء ما هو مخطئ ومنحرف ليصير التاريخ دافعاً ومحركاً إلى الأمام لا غلا على العنق يقيد العقل ويمنع من الحركة»⁽¹⁹⁾.

وعلينا أن نبين هذه الحقيقة التاريخية من خلال ما كتبه المؤرخ

(18) الدكتور يوسف القرضاوي : الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم ص: 199-202 مطبعة الوفاق - روية - الجزائر.

(19) جودت سعيد : حتى يغيروا ما بأنفسهم ص: 205 - دار الثقافة للجميع - دمشق -.

التونسي محمد محفوظ حول الإباضية وأعلامهم إذ قال : «ولما كان هذا التأليف أشبه شيء بالفهرس وقد سميته :تراجم المؤلفين التونسيين، وقد ترجمت فيه للوافدين على تونس المتوفين بها، كما ترجمت فيه لعلماء إباضية من جزيرة جربة ويلاحظ المتأمل أن بعضهم من ذوي الثقافة المحدودة وأن انتاجهم ليس بذوي قيمة كبيرة وبعضهم من نوابغ الإعلام ذوي المواهب الغزيرة، والإنتاج الثري المتنوع والذين كان لهم فضل في إثراء المكتبة العربية الإسلامية، وقد عجبت من إهمال المؤرخين التونسيين - من غير الإباضية - ترجمتهم والتنويه بهم ولا داعي لها غير التعصب المذهبي، وقد سار في هذا الطريق بعض المعاصرين وإخواننا الإباضية لا يبدلون جهداً كبيراً في التعريف بأنفسهم.

ولولا ما قام به بعض المعاصرين من التعريف بأعلامهم كالأستاذين : الصادق بن مرزوق وفرحات الجعبري الجريين التونسيين وعلي يحيي معمر النفوسي الليبي لبقى كثير من هؤلاء الأعلام مغموراً في طي الخفاء والكنمان ول هؤلاء الثلاثة فضل كبير في هذا الميدان وقد اعتمدت عليهم كثيراً في ترجمة أعلام مرموقين أو من نزلتها المتوفين فيها، لأن جزيرة جربة أخرجت على مدار القرون أعلاماً لهم مكانتهم لا في المذهب الإباضي فقط بل في التفكير الفلسفي الإسلامي، وفي التاريخ التونسي،⁽²⁰⁾.

(20) محمد محفوظ : تراجم المؤلفين التونسيين ج:1 ط:1 ص:8 دار المغرب الإسلامي بيروت 1982.

وفي ضوء هذه الحقيقة التاريخية، فإن الأستاذ الكريم : محمد محفوظ، قد التزم بالموضوعية وأنصف حق تاريخ أعلام الإباضية الذين جهلهم أو تجاهلهم الغير بدافع التعصب المذهبي لا غير كما يرى ذلك.

ومن هنا، رأينا أن نقدم للقارئ الكريم في الفصل الثاني نماذج من مقالات إسلامية عامة، قديمة وحديثة كتبت عن المذهب الإباضي من خلال أرقام غير إباضية مبينة حقيقة أصالته... معتمدة في ذلك على الروح الموضوعية والرجوع إلى مصادره المباشرة التي تصحح المفاهيم الخاطئة وتبديد الأوهام وتبني الطريق أمام الباحثين، أملنا الوحيد دائماً هو خدمة وحدتنا الإسلامية المقدسة في ظل الأخلاق القرآنية الشامخة التي تتحدى الفلسفات البشرية وتجاريها المتغيرة في كل يوم على حسب أهواء البشر ودوافعهم.

★ الفصل الثاني ★

الإباضية في مرآة أعلام الإسلام
قديمًا و حديثًا

ملحوظة : لقد رتبنا المقالات على حسب وحدة الموضوع.

1) - منزلة الإمام جابر بن زيد⁽¹⁾ عند الصحابي الجليل عبد الله بن عباس⁽²⁾ وعند العلماء

لقد جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى سنة 210هـ في المجلد السابع ص: 179: «قال سفيان عن عمرو عن عطاء قال سمعت ابن عباس يقول: لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم عما في كتاب الله علما».

ومن هنا فإن جابر بن زيد رحمه الله يقول: «أدركت سبعين رجلا من أهل بدر فحيويت ما بين أظهرهم إلا البحر، ويقصد بهذا أستاذه ابن عباس لغزارة تبحره في العلوم الشرعية، وهو أول من جمع

(1) إن المصادر الإباضية القديمة وغير الإباضية تؤكد أن المؤسس الأول للمذهب الإباضي هو العلامة الفقيه أبو الشعثاء، جابر بن زيد الأزدي العماني الذي ولد بين عامي 18 و22هـ بمدينة الفرق العمانية، أما وفاته فقد كانت بالبصرة وذلك سنة 93هـ، إذ أخذ العلم عن الصحابة رضي الله عنهم، كعبد الله بن عباس وعائشة بنت أبي بكر، وخادم الرسول ﷺ أنس بن مالك وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود.

(2) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، الصحابي الجليل، ولد بمكة في السنة الثالثة قبل الهجرة، ونشأ في بداية عصر النبوة فلازم الرسول الكريم ﷺ وروي عنه الأحاديث الصحيحة ويسمى بحبر الأمة... سكن الطائف وتوفي بها وذلك سنة 68هـ قال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن، وكان عمر بن الخطاب يستفتيه فيقول له: أنت لها ولأمثالها.. ويعد جابر بن زيد أحد طلاب ابن عباس رحمه الله.

الحديث في ديوان مفقود وتتحدث المصادر عنه أنه وقر بعير.
ولقد جاء في كتاب المعرفة والتاريخ لأبي يوسف يعقوب بن
سفيان البسوي المتوفى سنة 277هـ، المجلد الثاني ص: 12-14
مايلي : حدثنا أبو بكر الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو قال : سمعت ابن
عباس يقول : لو ترك أهل البصرة على قول جابر بن زيد لأوسعهم
عما في كتاب الله علمًا.

وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن
عتيق قال : ذكر جابر عند محمد فقال : رحم الله جابرا كان مسلما
عند الدرهم.

ثم جاء كذلك في حلية الأولياء وطبقات للحافظ أبي نعيم
أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة 430هـ الجزء الثالث
ص: 85 مايلي : «جابر بن زيد أبو الشعثاء، كان للعلم عينا معيناً،
وفي العبادة ركنا مكينا، وكان إلى الحق آيباً، ومن الخلق هاربا، تأخر
ذكره عن طبقته وهو من قدماء التابعين.

حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال ثنا محمد بن عثمان بن
أبي شيبه قال ثنا أبي قال : ثنا ابن عيينه عن عمرو بن دينار قال
سمعت عطاء قال قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه : لو نزل أهل
البصرة بجابر بن زيد لأوسعهم علما من كتاب الله عز وجل».

أما بالنسبة إلى شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن
علي بن حجر العسقلاني فقد ذكره في الجزء الثاني من كتابه تهذيب
التهذيب ص: 38 مايلي : «وفي كتاب الزهد لأحمد لما مات جابر بن
زيد قال قتادة اليوم مات أعلم أهل العراق وقال إياس بن معاوية أدركت

الناس ومالهم مفت غير جابر بن زيد وفي تاريخ ابن أبي خيشمة كان الحسن البصري إذا غزا أفتى الناس جابر بن زيد وفي الضعفاء للساجي عن يحيى بن معين كان جابر إباضيا وعكرمة صفريا⁽³⁾.

وقبل أن نختم حياته الفقهية والعلمية لا بد أن نشير إلى أن جابر كان له باع في التفسير لقد جاء في مقدمة أصول التفسير ص: 61 للإمام ابن تيمية مايلي: «وأما التفسير، فإن أعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبي رباح وعكرمة وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس وأبي الشعثاء وسعيد بن جبير وأمثالهم».

(3) عكرمة نسبه هو عكرمة بن عبد الله (105/25هـ) مولى ابن عباس تابعي. الصفرية وهم أتباع زياد بن الأصفر الخارجي فهذه الفرقة الخارجية ترى التقية جائزة في القول دون العمل.

(2) - ظهور المذهب الإباضي واصطدامه بالخوارج

بقلم : الدكتور رجب محمد عبد الحليم⁽¹⁾

أما عن نشأة المذهب الإباضي، فمن المعروف أن هذا المذهب من المذاهب الإسلامية الهامة التي سبقت في النشأة غيرها من المذاهب الأخرى سنية أو شيعية، كما أنه لم يعرف بهذا الإسم في المصادر الإباضية إلا في الربع الأخير من القرن الثالث للهجرة، وقد قبل الإباضية بهذا الإسم منذ ذلك التاريخ لأنه غلب عليهم بمرور الزمن، وصار علما يلتفون حوله ولم يجدوا فيه ما يحط من قدرتهم أو ينال من كرامتهم⁽²⁾، وإنما كانوا يطلقون على أنفسهم

(1) رجب محمد عبد الحليم، أستاذ جامعي ذو جنسية مصرية، يعد أحد أعلام التاريخ الإسلامي، اشتهر بكتبه التاريخية القديمة أهمها :
(أ) - العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف. - (ب) - إنتشار الإسلام بين المغول. - (ج) - الإباضية في مصر والمغرب وعلاقاتهم بإباضية عمان والبصرة. - (د) - الردة في ضوء مفهوم جديد، لقد اهتم بدراسة الجذور التاريخية للمذهب الإباضي الذي ظهر في الساحة السياسية وعلاقة إباضية الشرق بإباضية المغرب، معتمداً في ذلك على عدة مصادر مختلفة إباضية، وغير إباضية تزيد على 127 مصدراً، وأخيراً توصل إلى أن المذهب الإباضي يصطدم إصطداماً كلياً بالمذهب الخارجي عقائدياً، وسياسياً واجتماعياً.

(2) أما اسم الإباضية فهو نسبة إلى أحد شيوخ القعدة وهو عبد الله بن إباح بن تيم اللات بن ثعلبة التميمي من بني مرة وهي قبيلة عربية عراقية، فقد =

قبل ذلك إسم جماعة المسلمين أو أهل الدعوة أو أهل الإستقامة وقد سماهم أعداؤهم من الخوارج المتطرفين باسم القعدة احتقاراً لهم، لأنهم طبقاً لوجهة نظر هؤلاء الخوارج قعدوا عن الجهاد في سبيل الله بمحاربة الولاة والحكام الظالمين.

وكان هؤلاء القعدة قد رأوا القعود عن الحرب وعن رفع السيف ضد إخوانهم المسلمين عقب موقعة النهروان التي وقعت بين الإمام علي بن أبي طالب وجماعة المحكمة الذين عارضوه لقبوله التحكيم وقالوا - لا حكم إلا الله - واشتهروا باسم المحكمة أو الشراة أو الحرورية، وأطلق عليهم خصومهم من أرباب الدولة الأموية اسم الخوارج⁽³⁾.

=.. ولد في زمن معاوية بن أبي سفيان (40-60هـ)، أما وفاته فقد كانت في أواخر أيام عبد الملك بن مروان المتوفى سنة 86هـ وكان عبد الله بن إباض هو المناظر والمجادل مع السلطة الأموية، وكان لقبيلته دور حيوي في حمايته من بطش الدولة الأموية وهكذا فإن الأمويين هم الذين سموا أتباع جابر بن زيد بالإباضية.

يقول الشيخ السالمي رحمه الله :

فما الإباضيون إلا علما * * لخلفاء الحق منا فاعلما
إن المخالين قد سمونا * * بذلك غير إننا رضينا
وأصله أن فتى إباض * * كان محاميا لنا وماض

(3) لقد أطلق المؤرخون القدماء على المحكمة اسم الحرورية نسبة إلى قرية حروراء التي لجأ إليها الخوارج عند انفصالهم عن الإمام علي بن أبي طالب رحمه الله عقب عودتهم من معركة صفين سنة 37هـ.

أما الشراة فتعني الذين باعوا أرواحهم واشتروا الجنة بخروجهم عن حكام .. =

وقد تطورت الأحوال بجماعة المحكمة الذين ظلوا على أعدائهم واصطدامهم مع الدولة الأموية إلى الإنقسام إلى فرق ثلاث هي الأزارقة والنجدات والبهيسية منذ عام 64هـ - وأضيفت إليها الفرقة الرابعة وهي الفرقة المعروفة باسم الصفرية منذ عام 75هـ - واتفق أصحاب هذه الفرق الأربع فيما بينهم على آراء واختلفوا في أخرى وكفر بعضهم بعضا، واصطدموا بالدولة الأموية مرات عديدة، وتصدت لهم قوات الخلافة وأخضعت شوكتهم وقضت على زعمائهم، وكان ذلك على يد المهلب بن أبي صفرة العماني وعلى يد قومه من الأزدي العمانيين وعندما حاول بعض زعمائهم اللجوء إلى عمان تصدى لهم العمانيون وقتلوهم.

وعلى ذلك فالإباضية أو جماعة المسلمين لم يشتركوا في هذا الصراع الذي دار بين هذه الجماعات الأربع التي حملت وحدها اسم الخوارج وبين قوات الخلافة الأموية أو العباسية، وإنما اعترضوا هذا الصراع منذ البداية، وأخذوا يثنون أفكارهم في سرية وهدوء، وخاصة بعد أن التفوا حول إمام لهم هو جابر بن زيد الأزدي العماني الذي كان قد رحل من عمان وسكن البصرة وكون مدرسة أخذ يث فيها آراءه، ويعلم فيها من وفد إليه من مريرين وطلاب علم.

ومعنى ذلك أن القعدة أو جماعة المسلمين هم الذين انضموا لجابر بن زيد، وانظروا تحت قيادته بعد أن انتهى دور عبد الله بن

=.. الظلمة، كما فعل أبو بلال مرداس بن حدير التميمي لما ثار ضد ولاة بني أمية وذلك سنة 61هـ.

إباض نهاية غير معروفة، وبعد أن رأوا مدى القوة التي ينعم بها هذا الفقيه الأزدي بسبب مساندة الأزد له، لدرجة أن الحجاج المشهور بالبطش والعنف لم يجرؤ على قتله عندما عرف صلته بالإباضية، واكتفى بنفيه إلى بلده عمان، ولم يلبث أن عاد منها إلى البصرة مرة أخرى، ولم يتعرض له الحجاج في كثير أو قليل.

أخذ جابر بن زيد في هذه الأثناء ونتيجة لهذه الملابس يدعو إلى أفكار معينة عرفت فيما بعد بالمذهب الإباضي، وكان يدعو إلى هذه الأفكار في البصرة، ودعا إليها في عمان عندما نفي إليها على يد الحجاج بعد أن ارتاب في نشاطه واتصالاته التي زادت بعد حبس زعيم المهالبة والأزد، يزيد بن المهلب.

وعلى ذلك فإن المذهب الإباضي نشأ نشأة عمانية حقاً. إذ أسسه فقيه من أزد عمان سكن البصرة وهو جابر بن زيد اليمحمدي الأزدي، وانضم إليه معظم أزد البصرة بحكم العلاقة القبلية من ناحية، واقتناعاً بما كان ينادي به جابر من ناحية أخرى، كما اعتنق معظم أزد⁽⁴⁾ عمان هذه الدعوة على يد جابر وعلى أيدي الدعاة الذين أرسلهم خليفته من بعده، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، وكانوا كلهم من عمان وذلك تحقيقاً لهدف كان العمانيون يتوخونه من وراء هذه الدعوة، وهو الإستقلال بشؤون بلادهم عن

(4) الأزد قبيلة عربية قحطانية، انتشر أفرادها في اليمن وعمان، ثم هاجروا إلى الحجاز وجنوب العراق وسوريا، وقاموا بدور فعال في نشر الإسلام واللغة العربية.

(5) رجب محمد عبد الحليم - الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة - ص: 15/12 - 21/20 ط: 1: 1410 هـ مطابع النهضة - مسقط - سلطنة عمان.

ملاحظة لا بد منها : نحن لا نشاطر رؤية الأستاذ الكريم رجب محمد عبد الحليم القائلة بأن هدف حركة جابر بن زيد هو استقلال عمان عن السلطة الأموية والعباسية... لأن الحوادث التاريخية بينت لنا بكل جلاء أن الحركة الإسلامية التي أنشأها جابر بن زيد والطلبة الذين تخرجوا منها لاسيما الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة هدفها الأول والأخير هو تطبيق شريعة الله قرآناً وسنة والرجوع إلى حكومة الخلفاء الراشدين في العالم الإسلامي بكامله، راجع كتابنا : حركة أهل الدعوة والإستقامة في مكة والمدينة.

(3) - إن الإباضية ليسوا خواج

بقلم : الدكتور عوض محمد خليفات الأردني⁽¹⁾

إن جهود مشايخ الإباضية وحملة العلم وتنظيماتهم السرية الدقيقة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين قد أثمرت تأسيس دول إباضية مستقلة في الجزيرة العربية وبلاد المغرب، كان له دور هام ومجيد في التاريخ الإسلامي⁽²⁾.

(1) الدكتور عوض محمد خليفات الأردني، أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة عمان - الأردن، عرف بإنتاجه الكثير في الدراسات الإسلامية القائمة على الروح العلمية النقدية، ويعد من العلماء غير الإباضيين الذين درسوا الفكر الإباضي دراسة شاملة، في تاريخه وعقائده ونظمه السياسية والتربية معتمداً في ذلك على المصادر الإباضية المخطوطة وغير المخطوطة ثم المصادر غير الإباضية القديمة والحديثة سنية وشيعية.

أهم مؤلفاته : * نشأة الحركة الإباضية، * النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقية، * التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، * الأصول التاريخية للفرقة الإباضية.

(2) إن الذي نظم الحركة الإباضية تنظيمًا سياسيًا وهو الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، في البصرة كان رحمه الله زنجياً ورعاً فقيراً يقتاب بعرق جبينه حيث احترف مهنة القفاف، وتخرج على يده حملة العلم، الذين قضوا معه خمسة سنوات معه في مدرسته السرية، فهؤلاء هم : سلامة بن سعد، الربيع ابن حبيب، عبد الرحمن بن رستم، عاصم السدراتي، إسماعيل بن درار الغدامسي، أبو داود القبلي، أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، .. =

وفي ظل هذه الدول قام الإباضيون بجهود مشكورة في نشر الإسلام في أماكن كثيرة وكان لهم فضل كبير في هذا الشأن في كل من إفريقيا الشرقية⁽³⁾ وإفريقية السودان جنوب الصحراء⁽⁴⁾ وبعض مناطق الشرق الأقصى كما قام الإباضيون بجهود كبيرة في سبيل إثراء المكتبة الإسلامية بالمؤلفات الكثيرة المتنوعة التي تتناول مختلف جوانب الفكر الإسلامي⁽⁵⁾ ويمكن للباحث المطلع على هذه المؤلفات أن يسجل الملاحظات التالية حول بعض الأمور التي لا تزال محل نقاش وجدل بين الباحثين والمفكرين.

1 - إن الإباضيين ليسوا خوارج كما تزعم بعض كتب المقالات والملل والنحل، وكما يدعي بعض الكتاب المحدثين الذين

=.. الجلندي بن مسعود، أبو يحيى عبد الله طالب الحق، أبو حمزة المختار الشاري (رحمهم الله).

وهكذا فإن هؤلاء العظام تمكنوا من تأسيس دول في الحجاز بزعامة طالب الحق وأبي حمزة المختار الشاري، وعمان بزعامة الجلندي بن مسعود، وشمال إفريقيا بزعامة أبي الخطاب عبد الأعلى اليميني وعبد الرحمن بن رستم.

(3) انظر : دولة آل يعرب وأئمتها العظام لاسيما الإمام سيف بن سلطان بن سيف المتوفى سنة 1123هـ - 1711م. فإن هذه الدولة قد نشرت الإسلام في الشرق الإفريقي حتى جنوب إفريقيا محاربة الإستعمار الأوروبي. راجع تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان للشيخ السالمي ج: 2 - ص: 2 إلى ص: 45.

(4) راجع : دور فقهاء الإباضية في إسلام مملكة مالي القرن الثالث عشر الميلادي للدكتور أحمد إلياس حسن وكتاب طبقات المشائخ للدرجيني.

(5) بعد الخاتمة سنلحق إن شاء الله بعض المصادر الإباضية التي تجعل الباحث يدرك أصالة الفكر الإباضي.

قلدوا هذه المؤلفات دون تدقيق وتمحيص.

والواقع أن الإباضية لا يجمعهم بالخوارج سوى إنكار التحكيم.

2 - إن الإباضية حرّموا قتل الموحدين⁽⁶⁾ واستحلال دمائهم

وحرّموا استعراض الناس وامتحانهم كما فعل متطرفوا الخوارج مثل الأزارقة والنجدية.

3 - إن الإباضية ينظرون إلى الدين نظرة واحدة متكاملة لا

فصل فيها، بين المظاهر الروحية والمادية ولا طغيان لأحدهما على الأخرى، وتبعاً لذلك فقد أنكروا التصوف ورفضوه.

4 - إن المدقق في المصادر الفقهية الإباضية يجد أن

أصحاب المذهب الإباضي من أكثر المسلمين إتباعاً للسنة الشريفة والإقتداء بها، أما ما تلبقه بهم بعض المصادر من تهمة فإنما هو ناتج عن أحد أمرين : الجهل أو التعصب.

5 - أنهم وحدهم الذين طبقوا مبدأ الشورى في الحكم بعد

الخليفين أبي بكر وعمر.

لا بد من القول : إن الوحدة العربية والتضامن الإسلامي

يستدعيان منا أن نحكم العقل والعدل في علاقاتنا جماعات وأفراداً.

وإن زوال الفرقة بين أتباع المذاهب الإسلامية أمر هام

وضروري لتحقيق حريتنا ومستقبل أجيالنا.

إن الدين واحد والمصدر واحد ولا مبرر للفرقة والاختلاف

(6) يقول الشيخ أطفيش رحمه الله : التوحيد عاصم لدم الموحّد وماله وسببه

- الذهب الخالص ص: 28 «الموحّد من أقر بالشهادتين».

بين المسلمين إن هم حكموا قول رسول الله ﷺ : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ» (7).

(7) الدكتور عوض محمد خليفات : الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ط:2 ص:52-54، المطبعة الشرقية مسقط - سلطنة عمان.

(4) - إن الفرقة الإباضية كانت على خلاف عقائدي وسياسي مع فرق الخوارج المتطرفة كالأزارقة والنجدات بقلم : الأستاذ مهدي طالب هاشم (1)

خاتمة البحث : اتضح لنا من خلال دراستنا الوثائق التاريخية التي حصلنا عليها أن الدعوة الإباضية نشأت وترعرعت في مدينة البصرة في القرن الأول الهجري وقد قام بتأسيسها مجموعة من التابعين، وقد برز من هؤلاء الدعاة جابر بن زيد وعبد الله بن إباض،

(1) الأستاذ مهدي طالب هاشم ذو جنسية عراقية يعد من الرواد الأوائل الذين درسوا الحركة الإباضية في المشرق العربي منذ نشأتها وتطور مراحلها حتى نهاية القرن الثالث الهجري ولقد قدم رسالة ماجستير تحت عنوان : الحركة الإباضية في المشرق العربي إلى كلية الآداب، جامعة بغداد سنة 1977م، وقبلت بدرجة جيد جداً، لقد اعتمد السيد مهدي طالب هاشم على 150 مصدرًا منها 35 مخطوطًا قديمًا، الموجودة في دار الكتب المصرية وخزانة الإمام غالب بن علي الدمام - المملكة العربية السعودية وبعض منها في مكتبة الدراسات العليا بجامعة العراق ومصر.

وعلى أية حال فإن هذه الدراسة تميزت بالطابع الإستقرائي التاريخي القائم على المصادر الإباضية القديمة، وغير الإباضية وهذا ما تدعو إليه الدراسات العلمية البعيدة عن الأحكام المسبقة قديمًا وحديثًا.

إن هذه الدراسة العلمية حول الإباضية تعد لبنة جديدة في تراثنا الإسلامي، وجدير بأبنائنا المسلمين كافة أن يلتزموا بالروح العلمية الإسلامية، لأن الإسلام هو العلم والأمانة والصدق.

وقاموا بتأسيس النظام السري في الدعوة، أو ما يعرف لدى الإباضية بمرحلة الكتمان⁽²⁾ وقد دلت هذه المرحلة على نضج سياسي ويظهر هذا واضحاً من خلال الأساليب التي اتبعوها في علاقتهم التنظيمية في الدعوة لمذهبهم.

ولم تستطع السلطات المتعاقبة في البصرة أن تضع يدها على هذه المنظمة السرية للدعوة الإباضية للدقة والتحفظ الذي أحاط بها الدعاة أنفسهم.

وقد ظهر لنا أن هذه الفرقة كانت على خلاف عقائدي وسياسي مع فرق الخوارج المتطرفة كالأزارقة والنجدات، حيث امتازت هذه الفرقة بمواقفها المعتدلة فلم تكن تكفر المسلمين المخالفين لهم في المذهب، واتضح لنا أن هذه الميزة هي إحدى مبررات بقائهم كمذهب إسلامي يمثل استمرار العقائد المحكمة الأولى حتى تاريخنا المعاصر..

كما اتضح لنا أن عبد الله بن إباح لم يكن هو القائد

(2) إن مرحلة الكتمان عند الإباضية قديماً يقصد بها الترية العملية الإسلامية الهادفة إلى تحقيق مجتمع إسلامي نظيف، أما قضية الستر أو الكتمان اليوم عند الإباضية لا وجود لها إطلاقاً، فالإباضية لم يبايعوا أي إمام سرا بعد سقوط الدولة الرستمية، وهل من المعقول أن يستمر الكتمان أكثر من إحدى عشر قرناً، لأن بعض الكتاب يرون أن نظام العزابة يمثل مرحلة الكتمان، والعكس يثبت ذلك فهو نظام تربوي اجتماعي عملي لا سر فيه بل أمسى يعرف عند كل الناس صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم، حاكمهم ومحكومهم، بل قدمت عدة دراسات منشورة حول طبيعة هذا النظام الاجتماعي الإسلامي.

المؤسس للدعوة الإباضية كما تعارف عليه المؤرخون القدامى والمحدثون، بل كان الفقيه التابعي جابر بن زيد الأزدي ومجموعة من المشائخ هم المؤسسون للدعوة الإباضية بما في ذلك عبد الله بن إباض.

وقد قامت مدينة البصرة بدور سياسي كبير في منطقة جنوب وشرق الجزيرة العربية لازال أثره واضحًا في سياسة هذه المنطقة حتى يومنا هذا، فقد انطلق من مركز الدعوة في البصرة الدعاة الإباضية - حملة العلم - إلى عمان واليمن وقد اتصفوا بصفات قيادية وسياسية واجتماعية وكفاءة عالية في كسب الأتباع لمذهبهم الإباضي.

وقد ظهرت مهارة أبي عبيدة في إعداد حملة العلم الذين نجحوا في تغيير تاريخ جنوب شرقي الجزيرة العربية والمغرب الأوسط حيث قامت الدولة الإباضية بعمان والدولة الرستمية في تيهرت، إضافة إلى قيام الإمامة الإباضية في اليمن⁽³⁾ والتي قضى عليها في وقت مبكر من قبل الأمويين⁽⁴⁾.

(3) هي الإمامة الإسلامية التي أسسها طالب الحق في حضرموت واليمن وذلك سنة 129هـ إلا أن السلطة الأموية قد قضت على هذه الإمامة سنة 130هـ خاصة لما فقدت هذه الثورة قائدها أبا حمزة المختار الشاري.

(4) مهدي طالب هاشم: الحركة الإباضية في المشرق العربي نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري ص: 314-315. ط: 1 - 1981 القاهرة - دار الإتحاد العربي للطباعة.

(5) - موقف الإباضية من الخروج والخوارج

بقلم : الدكتور محمد حسان كسبة⁽¹⁾

الإباضية ذهبوا إلى أن الخروج إنما يتحقق فيمن خرج عن الدين والخروج من الدين إنما يكون بإنكار أصل ثابت من أصوله، أو بالعمل بما يتنافى مع تلك الأصول المقطوع بها، لأن العمل بذلك هو الردة والإنكار إنما يجب أن يكون لما عليه سلوك المسلم الذي حدده القرآن ومن هنا فإنهم يتصورون مفهوم الفرقة التي ينطبق عليها مفهوم

(1) الدكتور محمد حسان كسبة، ذو جنسية مصرية تحصل على درجة دكتوراه سنة 1979م في العقيدة الإسلامية من جامعة الأزهر - كلية أصول الدين - إن موضوع شهادته هو الإباضية وعقيدتهم، بحيث أن دراسته برهنت على أن الفكر الإباضي ينطلق أساساً من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهذا الفكر لا يفصل بين السياسة والدين، وأن مجال السياسة مهما بُغِدَ، فلا بد أن يكون في إطار الشرعية الدينية وقدم عدة قرائن واضحة من عدة مصادر إباضية قديمة لاسيما مخطوطاتها، وهو لم يغفل كذلك عن المصادر غير الإباضية سنية وشيعية، هذه الأطروحة اشتملت على 216 مصدرًا، لها قيمتها الموضوعية والتاريخية والدينية.

وعلى أية حال فإن هذه الأطروحة جديرة بالقراءة والتأمل لأنها صححت عدة مفاهيم خاطئة أصقت بالإباضية بدون برهان، وهذا بطبيعة الحال يتناقض مع الروح العلمية الإسلامية وأخلاق القرآن الكريم ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ [الإسراء: 36].

الخارجية الوارد في الحديث وهو المروق من الدين - إنما هي فرقة الأزارقة ومن كان على شاكلتها لما يقومون به، ويعتقدونه من سفك دماء المسلمين وأخذ أموالهم وسبي نسائهم وأطفالهم مستحلين لذلك كله.

ولقد بين لنا هذا الموقف المتكلم الإباضي أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم⁽²⁾ الجزائري المتوفى عام 570هـ في كتابه الدليل لأهل العقول حيث صرح: «وزلة الخوارج نافع بن الأزرق وذويه حيث تأملوا قول الله تعالى: ﴿وإن أظمتهم وإنكم لمشركون﴾ (الانعام: 121)، فأثبتوا الشرك لأهل التوحيد حين أتوا من المعاصي أما أتوا ولو أصغرها».

وأكثر وضوحاً عن هذا قول ابن إياض حين عابه عبد الملك بن مروان فكتب له: «غير أننا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس، لقد كانوا، حين خرجوا على الإسلام فيما ظهر لنا، ولكنهم ارتدوا وكفروا بعد إسلامهم فنبأ إلى الله منهم»⁽³⁾ وإذا كان ابن إياض قد صرح بأن ابن الأزرق وشيعته بما ذهب إليه ارتد، فإن

(2) أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني ولد بقرية سدراته القرية من ورجلان: يعد من أعلام الفكر الإباضي في القرن السادس الهجري، لقد درس العلوم العقلية والنقلية في الأندلس، أهم مؤلفاته: كتاب العدل والإنصاف، الدليل لأهل العقول، ترتيب مسند الربيع بن حبيب البصري، اكتشافه لحط الاستواء وبرهن على صحته، قبل أن يكتشفه الأوروبيون توفي رحمه الله سنة 570هـ.

(3) نص الرسالة الكاملة توجد في الكتب الإباضية القديمة، لاسيما كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات لأي القاسم بن إبراهيم البرادي.

الورجلاني يحقق في ابن الأزرق وطائفته مدلول الخروج بأنه المروق من الدين لا يعني الطاعة بل المقيدة فيقول : «وأما المارقة وهم الخوارج فلن يخفي على عاقل سيرة ما ساروا في أهل الإسلام، كسيرة أهل الإسلام في أهل الأوثان والأصنام، فهم قد بدلوا الأحكام والأسماء وأبطلوا جلد الزاني ورجمه»...

«فالخوارج إذن سموا بذلك لخروجهم عن الدين وعن أحكامه - وهم على هذا متفقون مع بعض أهل السلف والسنة الذين كفروا الخوارج - كما يتفقون مع المسلمين جميعا في تسمية الأزارقة خوارج.

إن الإباضية بنشأتهم المتقدمة كانوا سباقين في إنشاء مذهب فقهي متميز إمامهم فيه جابر بن زيد⁽⁴⁾، كما يُجلى ذلك تراثهم الفقهي وآراؤهم عن جابر وأبي عبيدة والربيع وغيرهم، منذ أواخر القرن الأول الهجري.

كذلك أوضحت الدراسة مع تطور الإباضية تاريخيا، وجهودهم في نشر دعوتهم، وتبين لنا أنهم في فكرهم ما كانوا ينطلقون إلا من إطار إسلامي واضح تمسكوا به وأن عقيدة كون العمل جزءا من الإيمان قد تبلورت في أفهامهم، فمنها انطلقوا إلى تقييم موقف من خالفوه من الأئمة، لا كما يذهب البعض إلى أن بحثهم في الإمامة كان سببا مباشرا لبحثهم في مسألة العقيدة...

(4) فالإمام جابر بن زيد يعد أسبق الأئمة الأربعة لأنه ولد سنة 21هـ وتوفي سنة 93هـ راجع فقه الإمام جابر بن زيد تحقيق يحيى محمد بكوش.

وإن وضوح المفاهيم الإسلامية في مسائل مثل الولاية والبراءة إنما كانت ماثلة في أفهامهم تماماً ثم ساعدت الظروف على ممارسة هذا المبدأ بطريقة جماعية فيمن هو من أهل ولايتهم، أو من هو في براءتهم⁽⁵⁾، كذلك تمثلهم لمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفهمهم له، وتمسكهم به، كان سبباً مباشراً لظهورهم، كما كان كذلك سبباً لئيل منهم - ومادام مثل هذا المبدأ عندهم له خطورته فقد أحاطوه بدراسة مستفيضة.

وأظهرت الدراسة أن أعمال هذا المبدأ عندهم كما كان سبباً لظهورهم كفرقة، كان كذلك سبباً للدراسة الوافية التي قدموها كمباحث متعلقة بالإمامة.

وإذا كانوا قد قالوا بأن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وأن العمل ركن من الإيمان وأن من أحل بالعمل فقد كفر فما خالفوا السلف الصالح الذين فهموا من الكتاب والسنة أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل⁽⁶⁾.

(5) إن الإباضية تقول بولاية الأشخاص وبراءتهم على حسب النصوص الشرعية، أما المذاهب الأخرى فتحصر هذا المبدأ بمن لا يدين الإسلام وبالتالي لا تطبق البراءة على فسقة المسلمين والفجرة.

راجع هذا الركن الهام والحيوي في كتاب قواعد الإسلام للشيخ الجيطالي (رحمه الله) ثم الإباضية في موكب التاريخ للشيخ علي يحيي معمر رحمه الله.

(6) محمد حسان كسبة : الإباضية وعقيدتهم ص: 88 وص: 294-295 جامعة الأزهر - كلية أصول الدين سنة 1979 - .

ملاحظة : الأطروحة نقشت بإشراف الدكتور محمد شمس الدين إبراهيم.

لابد من توضيح المفاهيم :

أ- إن الإباضية كما قال الأستاذ محمد حسان كسبة ماخالفوا السلف الصالح، الذين فهموا من الكتاب والسنة أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل - يرى الإباضية أن الإيمان يتكون من ثلاثة أصول وهي: الإعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح. يقول أبو عمار عبد الكافي : «إن الإيمان هو جميع ما أمر الله به عباده، وتعبدهم به من فعل جميع ما افترض عليهم من الفرائض، وترك جميع ما نهاهم عنه من المعاصي فكل ذلك إيمان بالله، ودين له، وإسلام وكله إيمان» الموجز ج:2 ص:92.

يقول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ «الصف:2-3». ومن السنة قول الرسول الكريم : «ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل» رواه الديلمي في مسنده.

وعلى ضوء هذا، فإننا نجد عالما الإسلامى يعيش في ازدواجية خطيرة بين القول والعمل الصالح الإسلامى فهذه المشكلة الخطيرة قد عاجلها الأستاذ الكريم محمد قطب في كتابه القيم : * هل نحن مسلمون؟ وكذلك سيد قطب في كتابه معالم في الطريق.

أما بالنسبة إلى المسلم الفاجر غير التائب، الذي ارتكب كبائر الإثم كالقتل والزنا وشهادة الزور وأكل الربا - فإن الإباضية يسمونه بالموحد العاصي وأنه كافر كفر نعمة لا كفر شرك لقوله تعالى : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن

الله غني عن العالمين ﴿آل عمران: 97﴾، وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» رواه مسلم وأحمد والترمذي وأبو داود. إن هؤلاء العصاة لا يخرجون عن ملة الإسلام ويحرم عند الإباضية أن تستحل دماؤهم وأموالهم وأولادهم. إن الاختلاف بين الإباضية والمذاهب الإسلامية الأخرى في هذه المسألة اختلاف لغوي لا أكثر إذ يطلق على المسلم العاصي دلالة الفاسق، الفاجر، الكافر كفر نعمة. ومن هنا نلاحظ أن الإباضية قد التزموا بتطبيق الدلالات الواردة في القرآن والسنة ولم يخرجوا عنها.

(6) - الإباضية أقدم وأعتق مذهب إسلامي

بقلم : الدكتور عمر با⁽¹⁾

الإباضية في الصحيح واحد من المذاهب الإسلامية ولعله أقدم وأعتق مذهب إسلامي، فله جذور ضاربة في عمق التاريخ الإسلامي، ويمكن فهم ذلك بسهولة خلال مقارنة تاريخية بين مؤسسي المذهب الإباضي، أمثال عبد الله بن إباض، وجابر بن زيد الأزدي التابعين ومؤسسي المذاهب الأخرى.

ومما يؤسف له حقا أن المسلمين من بقية المذاهب ظلوا إلى يومنا يحملون انطباعات غير أخوية ولا إيجابية، عما يعرف بالفرق مثل الإباضية، الزيدية⁽²⁾، الجعفرية⁽³⁾، نتيجة أوهاام مصدرها تخمينات وسوء الظن.

(1) الأستاذ عمر بن الحاج محمد صالح با، ذو جنسية سنغالية، ولد في جنوب السنغال وتلقى تعليمه الأول بها، ثم انتقل إلى عدة دول إسلامية فدرس في معاهدها بمالي والخرطوم ولبنان وطهران وأخيرا تحصل على منحة من جامعة جواهر لآل نهرو في دلهي بالهند، لتحضير شهادة الماجستير وكان موضوعها دراسة في الفكر الإباضي، حيث اعتمد على عدة مصادر إباضية وغير إباضية ثم احتك بعدة شخصيات من مختلف المذاهب الإسلامية لتكون عينة لمنهجه الذي سلكه في تقديم نتائج بحثه الذي نال به شهادته، هذه المنهجية جعلته جديرا بالإحترام والتقدير، وهو ذو ثقافة واسعة من خلال اتقانه لعدة لغات : العربية والفرنسية والإنجليزية والفارسية ولغته السنغالية، وله عدة أبحاث باللغة الفرنسية والعربية في حقل الدراسات الإسلامية أهمها دراسة في الفكر الإباضي.

(2) الزيدية : فرقة من فرق الشيعة المعتدلة فنسبها يعود إلى زيد بن علي.. =

وكان من الممكن ألا يستمر ذلك طويلا، لأن كل ما تولد عن سوء فهم يمكن إزالته بالتفاهم ومبادلة الآراء. غير أن تباين المواقف، عندما يتصف بالأناية، فمن النادر أن يؤدي إلى اتفاق وتفاهم، ذلك لأن أهل السنة، كأغلبية مطلقة من بين المسلمين، هم المطالبون بالإصغاء إلى شكاوي الأقليات - الفرق - وإتاحة الفرص لها لعرض حججها بروح رياضية دمثة، غير أن هذا مما لم يحدث، فسرعان ما يرمى علماء منهم أقلامهم ليكتبوا عن الفرق بعنف لا يقل عن عنفهم عندما يكتبون عن الخصوم من أهل الأديان الأخرى. فوصفوها بالفرق الضالة الهدامة التي على المسلمين محاربتها والحذر من أفكارها.

وهي كتابات - في الواقع - ملؤها الوهم والظعن نابعين عن

=.. زيز "عابدين بن الحسين بن علي، فهم لا يتبرأون من أبي بكر وعمر بن الخطاب، فهم يقولون بإمامة المفضول مع جود الأفضل، وأتباع الزيدية يوجدون في اليمن وجنوب الجزيرة العربية.

(3) الجعفرية : وهي الفرقة الشيعية، وتسمى بالإمامية والإثناعشرية لأنهم يؤمنون باثني عشر إماما متسلسلين، وإذا قيل لها الجعفرية فهي تسمية العام باسم الخاص نسبة إلى الإمام الكبير جعفر الصادق الذي كان عالما تقيا، زاهدا، بعيدا عن الغلو ولم يكن يؤمن بالرجعة، وهو سادس الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، لقد أخذ عنه العلم عدة علماء من بينهم ابنه موسى الكاظم، ومالك، وأبو حنيفة.

والشيعية يعتقدون أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، ومن لم يعتقد بهذا فهو

ليس شيعيا ولهم أدلتهم، أنظر : أصل الشيعة للإمام كاشف الغطاء.

وانظر : كتابنا الوارجلاني والمدارس الكلامية الإسلامية.

عدم الإخلاص، كما أنها كتابات لم تخل مما يدل على جهلهم بالموضوعات التي طرقتها.

فعجبي لا ينتهي من إنسان يضع نفسه - المقيم لأعمال عباد الله يُكْفَرُ من يشاء، ويتوب على من يشاء، فإن الإيمان والكفر ملكٌ يديه يمنح هذا، ويمنع ذلك، وكأما اللجنة مزرعة خاصة له يفتح أبوابها لمن يشاء ويوصدها في وجه من يشاء⁽⁴⁾.

ونظرًا إلى كون هؤلاء «كتاب مقالات الإسلاميين»⁽⁵⁾ يعتبرون من كبار العلماء لذا أصبحت كتاباتهم ومقالاتهم المراجع الأساسية لمن يريد معرفة شيء عن الفرق، مما أتاح لمعلوماتهم الإستمرارية، فأصبحت منابع للأقلام المتأخرة والحق أن معظم الكتابات

(4) وكل هذا في واقع الأمر يتنافى مع علم الله عز وجل ووَحدانيته، وحكمه الأزلي، فالحكم لله عز وجل ولنتأمل معًا هذه الآيات القرآنية الواضحة :
﴿الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ «الحج:69» .
﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ «النجم:32» .
﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ «القصص:85» .
﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ «الزلزلة:7-8» .
(5) راجع مايلي :

- مقالات الإسلاميين. واختلاف المصلين للإمام الأشعري المتوفى 330هـ.
- الفرق بين الفرق للبغدادي المتوفى 429هـ.
- الفصل في الملل والنحل لابن حزم 456هـ.
- الملل والنحل للشهرستاني 548هـ.
ملاحظة : هذه عينة من الكل فقط.

المعاصرة⁽⁶⁾ تكاد تكون مجرد اجترار لما سبق وكتبه الأوائل، فالمكتبة الإسلامية على الرغم من امتلائها بكتب ذات عناوين عصرية موحية بالحدائث، فإن المتصفح لها لا يكاد يجد فكرة جديدة، أو رأياً مستنبطاً بالإجتهد بديعاً، فكلها نسخ ونقل، ومسوخ بالمد حيناً، والمط آخر، والتحوير طورا، فنادرًا ما يوجد كتاب يضع المراجع التقليدية التي فقدت طعمها من كثرة ما ليكت جانباً، محاولاً الإتيان بجديد في موضوع قديم، وكأن هضم أقوال السلف والتشدد بها غاية العلم ومنتهاه⁽⁷⁾ والذي نرى أن الضرورة قد

(6) من الأفضل أن نشير إلى بعض هؤلاء الكتاب المعاصرين.

– المذاهب الإسلامية للأستاذ أبي زهرة.

– تاريخ الفرق الإسلامية للأستاذ الغواي.

– ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين.

– العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر للشيخ رمضان البوطي.

ملاحظة : والأدهى من كل هذا، أن الكتب الثانوية والجامعية تنقل هذه الآراء الخاطئة إلى أبنائنا البررة كمسلمات واضحة لا تناقش.

أين الروح العلمية؟؟ لاسيما الموضوعية والنقد المنهجي – وأخلاقيات القرآن والتقوى والصدق والأمانة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: 119).

(7) انظر مايلي :

– مشارق أنوار العقول للإمام نور الدين السالمي.

– الإباضية بين الفرق الإسلامية لعلي يحي معمر.

– دراسات إسلامية في الأصول الإباضية لبكير بن سعيد أعوشت. .. =

اقتضته هو الرجوع إلى مراجع الفرق وكتبهم التي كتبوها، لمعرفة أفكارهم وآرائهم سليمة غير محكية على السنة غيرهم، فإن مراجعهم متوافرة، وفي متناول اليد كل من يريد الإطلاع عليها.

قال السيد مصطفى بن اسماعيل المصري : إن المذهب الإباضي نسبة إلى عبد الله بن إباح هو أقدم المذاهب تاريخياً وأوثقها مصدرًا وأصحها تأويلًا وأحفظها لِلْبَابِ طهارة الدين الحنيف، ونقاوته وسماحتها وزكاوته. وعلى ذلك فليس ثمة مرء في أنه هو الطريق الحق الذي كان يمضي عليه رسول الله ﷺ والصحابة⁽⁸⁾.

وجهة نظرنا : إن ما كتبه أخيراً الأستاذ الكريم السيد مصطفى بن اسماعيل المصري عن الإباضية واستشهد به الدكتور عمر با، يعد في مضمونه حقا، ولكنه ليس كل الحق، لأننا لا نريد أن نزكي الإباضية بقدر ما نريد أن ننصف مذهبهم وتاريخهم الطويل كما هو.. ﴿ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ (النور: 21)، فالإباضية هم جزء من المجتمع الإسلامي العام، فيهم الورع، التقى، الأمين الكريم وفيهم كذلك العاصي، الكاذب، الأناني.... إلا

.. = - البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية لفرحات الجمبري.

- الحق الدامغ للشيخ أحمد بن محمد الخليلي.

ملاحظة : ستجد إن شاء الله المصادر الإباضية في الأخير.

(8) عمر بن الحاج صالح با : دراسة في الفكر الإباضي ص: 26/27/28

ط: 2 بسلطنة عمان.

أن الإسلام العملي لا يزال هو المهيمن العام على حياتهم الاجتماعية، تأمل أيها المسلم الكريم : ما قاله الأستاذ السوري خالد أحمد الشتوت : عن مشكلة سفور المرأة المسلحة واختلاطها بالرجال، حيث لاحظ أن هذه الظاهرة تنعدم عند المرأة المسلمة الإباضية فقال : «ومن نقر نساؤهم في البيوت في زماننا هذا الإباضيون في الجزائر، حيث يمنعون بناتهم من الدخول المدارس العامة لأنها مختلطة، ويفتحون مدارس أهلية تعلمهن أحكام الدين والقراءة والكتابة ثم يعلمونهن الصناعات المنزلية كالسجاد والتفصيل والخياطة»⁽⁹⁾.

أما بالنسبة إلى الدكتور عبد المجيد مزيان الجزائري فيرى أن التكافل الاجتماعي الإسلامي في الإقتصاد بالمنظور الإسلامي، له أثره بميزاب : «إن جماعة وادي ميزاب بصحراء الجزائر مثلا، تعد نموذجا حيا لهذا النوع من النظام الخاص الذي يجهد كل الجهد وبشتى الوسائل، للتوفيق بين رأس المال والتكافل الاجتماعي الذي يمثل الأخلاق الإقتصادية الإسلامية»⁽¹⁰⁾.

ومن هذا المنظور الإسلامي نجد أن كثيرا من إخواننا

(9) خالد أحمد الشتوت : تربية البنات في البيت المسلم ص: 76 دار المجتمع للنشر والتوزيع جدة ط: 1.

ملاحظة : هناك بعض البنات الإباضيات أمسين يزاوون تعليمهن في المدارس الرسمية، ولكنهن ملتزمات بأداب الإسلام.

(10) الدكتور عبد المجيد مزيان : النظريات الإقتصادية عند ابن خلدون ص: 132 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.

المسلمين، يصفون الإباضية بالغلو والتشدد في السلوك، لأنهم يأخذون بالأحوط، أي يقدمون شيئاً قليلاً ليربحوا أشياء كثيرة وإذا فقَدَ الشيء القليل فإن الإنسان لا يتأسف إذا فقد الشيء الكثير، وحينما نعود إلى سلوكهم التعبدي في الصلاة، فهم يرون أنها تقوم أساساً على الطهارة القلبية والطهارة المادية، بحيث أوجبوا الجمع بين الاستبراء والغسل اعتماداً على الأدلة الشرعية الواضحة لقول الله تعالى: ﴿رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ (التوبة: 108)، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من توضأ فليستنثر، ومن استجمر فليثر»⁽¹¹⁾.

أما في أمر الزكاة فإن هناك بعض المذاهب لا تدخل زكاة الحلي في النصاب، إلا أن الإباضية يرون أن زكاة الحلي واجبة شرعاً، وقد أخذ بهذا الرأي الحنفية⁽¹²⁾ فقالوا الزكاة واجبة في الحلي، اعتماداً على قول الله عز وجل: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ (التوبة: 34)، ثم إن علماء الإباضية قد حرموا آفة التدخين والشمة، لما ظهرت في عالم الإسلام، وأخذ اليوم عدة أعلام بهذا الرأي لاسيما الإمام محمد بن عبد الوهاب المشرقي والشيخ خالد بن أحمد بن عبد الله المالكي

(11) موطأ الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي ص: 24 ط: 4 دار النفائس بيروت.

(12) الأحكام الفقهية في المذاهب الإسلامية الأربعة ص: 336-337 بقلم الشيخ أحمد محمد عساف دار إحياء العلوم بيروت 1979.

والشيخ عمر بن أحمد المصري الحنفي والطب الحديث يؤكد أن مرض السرطان مصدره الأساسي هو التدخين⁽¹³⁾.

لقد صدق الله عز وجل في قوله الكريم : ﴿يَأْمُرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث﴾ «الأعراف:157»، ويقول الرسول الكريم : «كل مسكر حرام وكل مفتر حرام» رواه أحمد وأبو داود.

ولعل من المفيد أن نشير كذلك، إلى أن الإباضية رفضوا بكل قوة التجنيد الإجباري في الخدمة العسكرية أثناء الإستعمار الفرنسي للجزائر خوفاً من أن يؤدي بهم الأمر إلى قتل إخوانهم المسلمين في شمال إفريقيا أو الشام، إن هذا الموقف مصدره العقيدة الإسلامية التي تجعل القاتل المتعمد في الجحيم الأبدي ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ «النساء:92»، ويقول الرسول الكريم : «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل مسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى هاهنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

وإني أعتقد أن هذا الموضوع لا يزال إلى التحليل، وهذا التحليل يوجد في كتاب البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية للدكتور فرحات الجعبري.

(13) راجع : مسلم ولكنه يدخن لفضيلة الشيخ علي يحيي معمر، إخراج وتعليق أحمد حمو كروم - مطبعة تهرت غرداية -.

(7) - من جهل علمائنا أنهم لم يطلعوا على كتبهم الدينية
ولا على الفقه الإباضي المبني على الكتاب والسنة
بقلم : الشيخ عز الدين بن أمين التوخي السوري⁽¹⁾

ويكفي في الدلالة على مبلغ جهالتنا بعمان وأهلها أن
السواد الأعظم من العرب والمسلمين يظنونهم من غلاة الخوارج
كالأزارقة والنجدية والصفيرية، حتى ابن خلدون نفسه يقول ما
نصه : «والخوارج بها كثرة وكانت لهم حروب مع بني بويه» مع
أن إطلاق لفظ الخوارج على الإباضية من الدعايات الفاجرة التي
نشأت عن التعصب السياسي أولاً، ثم عن التعصب المذهبي ثانياً،
لما ظهر غلاة المذاهب، فقد خلطوا بين الإباضية والأزارقة

(1) الشيخ عز الدين بن أمين التوخي : عالم سوري معاصر ساهم في
الدراسات الأدبية والدينية خاصة علم الحديث والفقه وهو عضو في المجلس
العلمي بدمشق، ولقد درس الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب مع
شرحه للإمام عبد الله السالمي ثم اهتم كذلك بالأدب العربي العماني الذي بقي
في النسيان لأسباب مذهبية لا أكثر.

ولعل من المفيد أن نورد ما كتبه عن القطر العماني والمذهب الإباضي
من خلال مقدمة وضعها لحياة الشاعر أبي بكر أحمد بن سعيد الخروصي
العماني المعروف بالستالي الذي عاش في القرن السابع (584هـ - 676هـ).
وشيخنا عز الدين التوخي لم يدخر جهداً في تصحيح المفاهيم الخاطئة
والدعوة إلى وحدة المسلمين.

والصفرية والنجدية⁽²⁾، فالإباضية لم يجمعهم جامع بالصفرية والأزارقة ومن نحا نحوهم إلا إنكار الحكومة بين علي ومعاوية. وأما استحلال الدماء والأموال من أهل التوحيد «والحكم بكفرهم كفر وشرك» فقد انفرد به الأزارقة والنجدية والصفرية، وبه استباحوا حمى المسلمين، ولما كان مخالفوهم لا يتورعون ولا يكلفون انفسهم مؤونة البحث عن الحق ليقفوا عنده، خلطوا بين الإباضية الذين لا يستيبحون قطرة دم موحد بالتوحيد الذي معه، وبين الذين استحلوا الدماء بالمعصية الكبيرة حتى قتلوا الأطفال تبعًا لآبائهم، مع أن الفرق كبير جدا، بين المستحل والمحرم فماذا بعد الحق إلا الضلال!!! وجهل علمائنا بعمان وأهلها وعلومهم وآدابهم أنهم لم يطلعوا على كتبهم الدينية ولا على الفقه الإباضي المبني على الكتاب والسنة وعلى مسند الإمام الربيع بن حبيب⁽³⁾ وسنده ثلاثي عن أبي عبيدة التميمي⁽⁴⁾ عن جابر بن زيد عن الصحابة، وقد

(2) النجدية : فرقة خارجية، زعيمها نجدة بن عامر الحنفي (ت69هـ) وأن المصر على المعصية مشرك ولو بكذبة وغير المصر مسلم ولو شرب الخمر، وأن الإمامة في نظرة غير مفروضة.

(3) الربيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي البصري وقد ولد بإحدى قرى السهل الساحلي - بودام بسلطنة عمان وذلك سنة 75هـ، أما وفاته فكانت حوالي 175هـ، وقد تتلمذ على الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وروى عنه مسنده.

(4) أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مولى بني تميم ولد بالبصرة حوالي 60هـ، أما وفاته فقد توفي رحمه الله في ولاية الخليفة العباس أبي جعفر المنصور .. =

أخذ جابر وأبو عبيدة عن الصحابة وجابر بن زيد من رجال البخاري
ومسلم أخذ عن سبعين من الصحابة البدرين وكان من تلاميذه حبر
الأمة عبد الله بن عباس وقد طبع هذا المسند القديم مع شرحه
للإمام عبد الله السالمي⁽⁵⁾ في أربع مجلدات⁽⁶⁾.

=.. حوالي 150هـ. لقد أخذ العلم عن جابر بن زيد وصحار العبيدي العماني

- ويعتبر أبو عبيدة المنظم والمنظر للحركة الإباضية بالبصرة.

(5) الشيخ نور الدين عبد الله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن

خميس السالمي، ولد ببلدة الحوقين من ولاية الرستاق العمانية سنة 1286هـ

وتوفي سنة 1332هـ ببلدة تنوف ويعد من العلماء الإسلاميين الكبار.

أهم آثاره : شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب، ومشارك أنوار

العقول وجوهر النظام.

(6) عز الدين التنوخي - ديوان الستالي - ص.أ.ب. المطبعة العمومية دمشق

سنة 1964م -.

(8) - إن المذهب الإباضي استمد خلوده من متانة أصوله

بقلم : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور⁽¹⁾

ما من مذهب من المذاهب الإسلامية الخالدة المعمول به اليوم إلا وقد استمد خلوده واستمراره من سلطة تدعّمه وتسانده، فالمذهب الحنفي⁽²⁾ قد استمد دعمه من الخلافة العباسية التي تبنته واعتبرته المذهب الرسمي لها، فعين كبير تلاميذ أبي حنيفة أبو يوسف قاضي القضاة للدولة العباسية فكان لا يولي منصبا أو وظيفة من الوظائف الدينية من آذان وإمامة وقضاء وجباية أو حاسبة إلا من كان حنفيا على مذهبه وعلى كل من أراد أن يحصل على خطة دينية لدى الدولة فما عليه إلا أن يعتنق المذهب الحنفي وَيَتَّقَهُ فيه إلى حد الرسوخ، ومن ثم انتشر المذهب الحنفي في كامل الأصقاع التي

(1) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ولد بتونس 1879م أحد كبار علماء الإسلام، أديب لغوي، نحوي مفسر من دعاة الإصلاح الاجتماعي والديني درس في جامع الزيتونية ومعاهدها الكبيرة، عين المفتي العام بتونس سنة 1933م وتم انتخابه عضواً بمجمع اللغة العربية بمصر سنة 1950 وبالمجتمع العلمي العربي بدمشق سنة 1955.

له أبحاث ودراسات إسلامية في عدة صحف عربية، من آثاره التحرير والتنوير في تفسير القرآن في 30 جزءا. توفي بتونس سنة 1973م.

(2) المذهب الحنفي نسبة إلى مؤسسة الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت (80-150هـ) فارسي الأصل، مذهبه يعتمد على الكتاب والسنة والإجماع والقياس والإستحسان، تشدد الإمام في قبول الحديث.

كانت تحت النفوذ العباسي، فكان أكثر المذاهب الإسلامية إنتشاراً وذيوعاً واتباعاً، ومن بعد سقوط الدولة العباسية، تبنته ورشتها الدولة العثمانية التركية التي احتضنت معظم الأقطار الإسلامية واتخذت المذهب الحنفي مذهباً رسمياً لها ودعمته بمجلتها⁽³⁾ وقد استمر وجودها إلى أوائل هذا القرن العشرين أي إلى حدود سنة 1923م وعنهما تسرب هذا المذهب الحنفي إلى المغرب العربي، أما المذهب المالكي⁽⁴⁾ فقد ساندته الدولة الأموية بالأندلس ودعمته بأن اعتبرته مذهبها الرسمي كرد فعل ومنافسة للدولة العباسية ومذهبها فقلد يحيى بن يحيى الليثي أحد كبار تلاميذ الإمام مالك خطة الإفتاء كما تبنته معظم الدول الإسلامية التي تأسست بالمغرب العربي من الدولة الأغلبية إلى الحفصية إلى الزيانية والمرينية، ولذلك كان المغرب العربي أوسع مجالات انتشار المذهب المالكي.

أما المذهب الشيعي⁽⁵⁾ فقد دعمته وساندته الدولة العبيدية بالمغرب العربي وانتقل معها إلى مصر فزادته تدعيماً بعد أن اتسمت بالدولة الفاطمية وأسست الجامع الأزهر الذي يشعر بقدسية هذه النسبة التي تغرى بتبني هذا المذهب.

(3) يقصد بهذا، مجلة الأحكام العدلية الصادرة سنة 1293هـ، والتي يلزم العمل بها.

(4) راجع أصول هذا المذهب في الصفحات السابقة.

(5) المدلول اللغوي، الأنصار والأتباع أما المدلول الفقهي والسياسي فيقر أن النبي ﷺ نص على خلافة علي بن أبي طالب وذريته الطيبة، وأن جل الصحابة رضي الله عنهم قد أخطأوا حين تركوا هذا الركن الإلهي المنصوص عليه شرعاً.

أما المذهب الإباضي، فإنه منذ سقوط الدولة الإباضية الرسمية في أواخر القرن الثالث الهجري سنة 296هـ⁽⁶⁾، لم يجد هذا المذهب سلطة تدعمه وتحميه بل كانت كل الدول والسلط تطارده وتقاومه لأنه يخالفها في أصول حكمها القائم على الملكية الموروثة ملكاً عضداً، إذ المذهب الإباضي ينكر ذلك في أصول حكمه الشوري الديمقراطي، ولذلك انجحر واختفى عن مسرح الحياة، ومع ذلك استمر بقاءه إلى اليوم ومعمولاً به كأنصع مظهر للإسلام مستمداً خلوده من متانة أصوله ومرونة فروعها⁽⁷⁾.

(6) لقد سقطت الدولة الرسمية في شوال سنة 296هـ بزعامة عبد الله الحجانبي الشيعي الذي قتل اليقظان بن اليقظان وأسرته ثم أضرم النار في مكتبة تيهرت التي احتوت على 300,000 ألف مجلد في مختلف العلوم.

(7) نقلاً عن ابن الشيخ : القرآن تفسيره ومفسروه، السنة روايتها ورواتها عند الإباضية. ص: 103-104 المطبعة العربية غرداية 1984.

(9) - ماذا قال الإمام مالك بن أنس⁽¹⁾ : «عن الشهيد أبي حمزة المختار الشاري الإباضي رحمه الله»⁽²⁾

* عينة من خطبة أبي حمزة المختار الشاري التي ألقاها بالمدينة - قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله : خطبنا أبو حمزة الشاري خطبة شكك فيها المستبصر، وردت المرتاب، قال : أوصيكم بتقوى الله وطاعته، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وصلته

(1) الإمام مالك هم أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي رحمه الله إمام دار الهجرة ومحدثها الأشهر ولد بالمدينة سنة 93هـ فنشأ فيها فتوفي بها عام 179هـ.

أصول مذهبه : الكتاب والسنة والإجماع والقياس وزاد عليها : عمل أهل المدينة والمصالح المرسلة، وهذا المذهب له أتباعه في العالم الإسلامي، لاسيما شمال إفريقيا وأشهر ما عرف به الإمام مالك رحمه كتابه الموطأ.

(2) اسمه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي، فقد قاد ثورة طالب الحق في حضرموت واليمن، التي انبدلت سنة 129هـ ضد الدولة الأموية ثم دخل مكة 129هـ والمدينة 130هـ ويعد من تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلا أنه توفي سنة 130هـ بمكة بعد معركة مع الجيش الأموي، إن الحكم الإباضي دام في الحجاز حوالي ثلاث سنوات من سنة 129هـ إلى سنة 132هـ، أما الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي اندلعت هذه الثورة فهي تعود إلى الفساد الخلفي الذي انتشر في السلطة الأموية. راجع : المختار بن عوف القائد الداعية للشيخ محمد شحاتة أبو الحسن، ثم كتابنا حركة أهل الدعوة والإستقامة في مكة والمدينة.

الرحم، وتعظيم ما صغرت الجبايرة من حق الله، وتصغير ما عظمت من الباطل، وإماتة ما أحيوا من الجور، وإحياء ما أماتوا من الحقوق، وأن يُطَاعَ الله ويعصى العباد في طاعته، فالطاعة لله، ولأهل طاعة الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإنا والله ما خرجنا أشرا ولا بطرا⁽³⁾ ولا لهوا ولا لعبا، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه، ولا لثأر قد نيل منا، ولكن لما رأينا الأرض قد أظلمت، ومعالم الجور قد ظهرت وكَثُرَ الإدعاء في الدين، وعمل بالهوى وعطلت الأحكام، وقتل القائم بالقسط، وعنف القائل بالحق، وسمعنا مناديا ينادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فأجبنا داعي الله⁽⁴⁾.

إذا تأمل القارئ الكريم هذه الخطبة التي ألقاها أبو حمزة المختار الشاري يدرك أنها نابعة من القرآن الكريم وهي دعوة إلى تطبيق منهج الله في المجتمع الإسلامي الذي ابتعد عن قيمه الأخلاقية القرآنية، فليس غريبا أن نجد أن الدولة الأموية قد شوهدت حركته الإسلامية، بسبب الفساد الخلفي ثم الإستهتار بقدسية القرآن الكريم، لقد جاء في كتاب الأغاني : «دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف، فلما فتحه وافق ورقة فيها ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد. من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد﴾» (إبراهيم: 15-16،

(3) الأشر : هو نسبة إلى الشر، البطر : عدم شكر نعم الله عز وجل.

(4) بحساب العقد الفريد لعبد ربه الأندلسي ج:4 ص:145 ط:2 دار الكتاب

العربي القاهرة.

فقال : أسجعا سجعا علقوه، ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مزقه،
ثم قال :

أتوعد كل جبار عنيد * * * فها أنا جبار عنيد
إذا لقيت ربك يوم حشر * * * فقل لله مزقني الوليد⁽⁵⁾
ومن هنا، فإن ثورة طالب الحق وقائدها أبا حمزة المختار
الشاري اندلعت بسبب فساد النظام السلطوي الأموي.

وفي هذا المسار التاريخي يمكنك أيها المسلم الكريم أن
تقارن مقارنة تحليلية أخلاقية بين سيرة أبي حمزة الداعية إلى نور
القرآن العظيم وسيرة الخليفة الأموي الوليد بن يزيد، المفعممة بأدب
الإنحلال والترف والجنس حيث يقول :

أنني أشتهي السماع وشرب * * * الكأس والعض للخدود الملاح
والنديم الكريم والخدام الفا * * * ره يسعى عليّ بالأقداح⁽⁶⁾
إن هدفنا من هذا، لا نريد تجريح حكام أمتنا الإسلامية بقدر ما
نريد أن نقيس سلوك هؤلاء بميزان الإسلام الثابت في قيمه، يقول
جودت سعد : «إن تاريخ الإسلام ليس هو تاريخ المسلمين ولو كانوا
مسلمين بالإسم أو باللسان، إن تاريخ الإسلام هو تاريخ التطبيق
الحقيقي للإسلام»⁽⁷⁾ وهكذا فإن الإمام مالك بن أنس رحمه الله، قيم
خطبة أبي حمزة المختار الشاري الذي أعلن معالم منهجه، على منبر

(5) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ج: 7 ص: 49.

(6) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ج: 23 ص: 23.

(7) جودت سعيد : حتى يغيروا ما بأنفسهم ص: 199

رسول الله ﷺ، أن هدفه الأول والأخير هو الإلتزام بتقوى الله وطاعته، والعمل الصالح بكتابه القرآن الكريم، وسنة نبيه ﷺ. إنها الدعوة إلى منهج الله، الذي يوقظ النفوس المؤمنة من غفوتها وإزالة مظاهر الشك منها.

لا جرم أن هذا النداء صادر عن قلب مؤمن برسالة الإسلام لإعلاء كلمة الله تجعل المسلم المستبصر المدرك لدينه يشك في مصير أمته الإسلامية، لأنها رضيت بالعودة عن الجهاد، إلا أن أبا حمزة المختار الشاري قد أزال هذا اللبس من خلال جهاده.. ومطبقاً قول خليفة رسول محمد ﷺ أبي بكر الصديق القائل : «أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق...» إنه الهدف الأسمى لطبيعة الحكم الإسلامي القائم على دستور القرآن الكريم يقول الحق تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَقْوَمٌ وَيُشْرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ «الإسراء:9».

(10) - أصول فقه الإباضية كأصول المذاهب الأخرى المتعمدة على القرآن والسنة والإجماع والقياس والإستدلال بقلم : الدكتور محمد وهبة الزحيلي⁽¹⁾

أبو الشعثاء التابعي جابر بن زيد المتوفى سنة 93هـ مؤسس

(1) الدكتور محمد وهبة الزحيلي أستاذ بكلية الشريعة بجامعة دمشق والإمارات العربية المتحدة ذو جنسية سورية، مختص في العلوم الشرعية الإسلامية. أهم مؤلفاته : تعريف عام بالعلوم الشرعية، الفقه الإسلامي وأدلته وهو يشتمل على موسوعة فقهية تحتوي على ثمانية أجزاء.

ملاحظة لا بد منها : إنك أيها القارئ الكريم نلاحظ أن ما كتبه عن الإباضية في الفقه الإسلامي وأدلته في طبعته الأولى : أنه قد ابتعد عن الروح الإسلامية والموضوعية العلمية، بحيث أن هذه الدراسة لم تعتمد على المراجع الإباضية ولقد قمنا بنقدها في كتابي : وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية من صفحة :33 إلى صفحة 46 وشاءت الصدفة أن يظهر سنة 1988 كتاب الأدلة المرضية في دحض ما نسب إلى الإباضية للأستاذ الكريم بدر من هلال اليعمدي إن هذا الكتاب قد فند كل ما كتبه الأستاذ محمد الترجيلي عن الإباضية إلا أن أستاذنا الكريم قد اعترف بأخطائه ورجع إلى الحق في طبعته الثانية حينما اعتمد على المصادر الإباضية المباشرة وهو يقول : «هذا... واني أعلن رجوعي عما كتبه عن الإباضية في الطبعة السابقة لنبين الخطأ فيه» الطبعة الثانية ص:46، إن الرجوع إلى الحق فضيلة، ويقول خالقنا : ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ «البقرة:42».

مذهب الإباضية، الذي ينسب إلى عبد الله بن إباض التميمي المتوفى عام 80هـ.

كان جابر بن زيد من العلماء التابعين العاملين بالقرآن والسنة، تلمذ على ابن عباس رضي الله عنهما، وأصول فقه الإباضية كأصول المذاهب الأخرى المعتمدة على القرآن والسنة والإجماع والقياس أو الاستنباط بجميع طرقه. وهم يتبرؤون من تسميتهم الخوارج وكانوا يعرفون بأهل الدعوة، وأهل الاستقامة، وجماعة المسلمين.

ومن كتبهم في العقيدة : مشارق الأنوار للشيخ نور الدين السالمي - وفي الأصول طلعة الشمس - للشيخ نور الدين السالمي وفي الفقه - شرح النيل وشفاء العليل للشيخ محمد بن يوسف أطفيش 17 جزءا - وقاموس الشريعة جميل بن خميس السعدي 92 جزءا. والمصنف للشيخ أحمد بن عبد الله الكندي 42 جزءا، ومنهاج الطالبين للشيخ خميس بن سعيد الشقصي 20 جزءا - والإيضاح للشيخ الشماخي 8 أجزاء - وجوهر النظام للشيخ السالمي - والجامع لابن بركة -.

وما يزال مذهبهم قائما في سلطنة عمان وفي شرق إفريقيا والجزائر وليبيا وتونس وهم في العقائد يقولون بتخليد أصحاب الكبائر في النار إن لم يتوبوا - وبالولاية والبراءة - «ولاية الطائع والبراءة من المعاصي» وبجواز التقية في الأقوال لا في الأفعال، وبأن صفات الله تعالى هي عين الذات - أي أن صفاته قائمة بذاته وليس مغايرة له، فهم يقصدون تعظيم والتنزيه، ولكنهم لا يقولون

كالمعتزلة⁽²⁾ بالتحسين والتقييح العقلين، ولا بوجوب فعل الصلاح والأصلح على الله تعالى⁽³⁾».

* توضيح هذا النص، من خلال رؤية الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله...

بادئ ذي بدء أقول : إن الأستاذ الكريم وهبة الزحيلي عدل في حكمه الذي أصدره على المذهب حينما اعتمد على المصادر الإباضية التي أشار إليها، ولكن هذا الحكم يحمل في مضمونه بعض الثغرات التي لا بد من معالجتها في إطارها الإسلامي والموضوعي - بعيدا عن الأحكام المسبقة.

1) - الإباضية يرون أن الإيمان والإسلام متلازمان متداخلان لا فصل بينهما فالإيمان هو قول باللسان وتصديق بالقلب، وعمل صالح بالجوارح - وبالتالي لا يجوز بأي حال من الأحوال الفصل بين القول والعمل، فالإسلام، والإيمان والدين - أسماء لشيء واحد وهو طاعة الله عز وجل من خلال تطبيق شريعة الله في سلوكنا العملي اليومي. يقول الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا

(2) المعتزلة : من أشهر الفرق الإسلامية في العصر العباسي، ومؤسسها هو واصل بن عطاء المتوفى سنة 131هـ وهي تعتمد على العقل بالدرجة الأولى في فهم النصوص الشرعية وأهم أصولها :

- التوحيد، - العدل، - الوعد والوعيد، - المنزلة بين المنزلتين، - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(3) وهبة الزحيلي : الفقه الإسلامي وأدلته ج:1 ص:44-45-46، ط:2 دار الفكر للطباعة والنشر - دمشق.

تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون ﴿﴾ «الصف: 2-3».

﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ «العصر: 1-2-3».

(2) - أما قضية تخليد أصحاب الكبائر غير التائبين فهذه القضية مرتبطة بنصوص قرآنية وسنية صريحة : ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ندخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾ «النساء: 14».

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً فيها أبداً، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل في نار جهنم مخلداً فيها أبداً».

إن فكرة خلود فجار المسلمين غير التائبين قال فيها كذلك بعض أعلام المسلمين من أهل السنة كمحمد عبده ومحمد رشيد رضا⁽⁴⁾ رحمهما الله.

(4) محمد رشيد رضا : (1353/1282هـ - 1935/1865م)، علم من أعلام أمتنا الإسلامية، عالم بالحديث والتفسير والأدب والتاريخ، ومن كبار الدعاة إلى التجديد والإصلاح في العالم الإسلامي.

ولد ونشأ بالقلمون، من أعمال طرابلس الشام ورحل إلى مصر 1897م، فلازم الإمام الشيخ محمد عبده وتلمذ له، لقد زار عدة دول إسلامية وأوروبية، توفي إثر حادث سيارة كان راجعاً بها من السويس إلى القاهرة.

أشهر آثاره مجلة المنار 34 مجلداً، وتفسير المنار 12 مجلداً ولم يكمله وهو له، وليس للإمام محمد عبده كما يعتقد أغلب المثقفين.

وفي هذا المقام يقول العلامة السيد محمد رشيد رضا في مقدمة سورة البقرة مانصه : «القاعدة السادسة : أن الجزاء على الإيمان والعمل معا، لأن الدين إيمان وعمل، ومن الغرور أن يظن المتمني إلى دين من الأنبياء أنه سينجو من الخلود في النار بمجرد الإنتماء، الشاهد عليه ما حكاه الله لنا عن بني إسرائيل من غرورهم بدينهم وما رد به عليهم حتى لا تتبع سنتهم فيه : ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾ «البقرة: 80-82»، وما حكاه عن اليهود والنصارى جميعا من قولهم ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم﴾ «إلخ الآيتين: 111-112»، ولكننا قد اتبعنا سنتهم شبرا بشبر وذراعا بذراع مصداقا لما ورد في الحديث الصحيح.

وإنما تمتاز عليهم بأن المتبعين لهم بعض الأمة لا كلها، وبحفظ نص كتابنا كله وضبط سنة نبينا في بيانه، وبأن حجة أهل العلم والهدى منا قائمة إلى يوم القيامة» (تفسير المنار - محمد رشيد رضا - ج: 1 ص: 112 ط: 1 - 1346 هـ مصر).

وإذا عدنا إلى مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة فإن الإباضية يرون بامتناع رؤية الله رؤية حسية مجسمة مادية، اعتمادا على أدلة الشرعية والعقلية، بحيث لو أمكن رؤية الله لكان جسما متحيزا موجودا في مكان ما ومن هنا تستحيل رؤيته لاستحالة التحيز والإحاطة المطلقة الشاملة يقول تعالى : ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ «الأنعام: 103».

فالرؤية قد تكون بغير البصر يقول الله عزوجل : ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ «يس: 77»

ويقصد بهذا العلم واليقين.

أما بالنسبة إلى الآية القرآنية ﴿وَجْوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ «القيامة: 22-23» يعني مشرقة تنتظر ثواب ربها ورحمته، ثم إن الرؤية لاتكون لإباحاسة العين فقط ولا دخل لأجزاء الوجه : الجبهة والحواجب والأنف والقم والخد، والذقن،....
والجدير بالذكر أن أحاديث الرؤية هي أحاديث آحادية⁽⁵⁾، يقول الشيخ محمد رضا «إن بعض أحاديث الآحاد تكون حجة عند من ثبتت عنده واطمأن قلبه بها، ولاتكون حجة على غيره يلزم العمل بها» (المنار - ج:1 ص:138 ط:1 - 1346هـ).

والأهم من كل هذا فإن الدكتور الزحيلي لم يشر إلى الفكر السياسي عند الإباضية ونعني بهذا مشكلة شرعية الخلافة التي لاتزال تثير مشاكل حادة ودموية في عالمنا الإسلامي منذ مقتل عثمان بن عفان رحمه الله عام 35هـ إلى يومنا هذا.

فالإباضية يرون أن تنصيب الإمام على المسلمين فرض وواجب، إلا أن الخلافة لا يمكن حصرها بالوراثة أو الجنس أو القبيلة أو طبقة معينة، فالمسلمون سواسية أمام هذا المنصب فالقياس الوحيد لذلك هو التقوى والكفاءة المطلقة والشورى بين أهل الحل والعقد والعلماء، اعتمادًا على قول الله عز وجل : ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ إِنَا

(5) وحكم خبر الآحاد : أنه ظني الثبوت ويوجب عند كثيرين العمل لا العلم اليقيني. (لمحات في أصول الحديث - رد - محمد أديب صالح ص:93 ط:3 - 1399هـ المكتب الإسلامي بيروت).

خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴿الحجرات:13﴾.

﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى:38)، وعن السنة قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : «إن أمر عليكم عبد حبشي مجدوع الأنف فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله» رواه البخاري.

إن هذه اللوحة المختصرة التي أضفناها، تعد ضرورة لبلورة الفكرة مادام الأستاذ الكريم محمد الزحيلي ذكر العقائد الإباضية ومصادرها.

ومهما كان الأمر، فإن الاختلاف الذي حصل في المدارس الإسلامية يعد من الظواهر الإنسانية الطبيعية وهو دليل على حيوية الاجتهاد الإسلامي الشامل الهادف إلى العلم وخدمة وحدة أمتنا الإسلامية وتماسكها إزاء القضايا المطروحة في ساحة الفكر المعاصر الذي يفرز كل يوم عدة مشاكل تبحث عن حل إسلامي أصيل لاسيما ما يتعلق بالسلوك العملي الصالح الذي هو الأساس بعيدا عن المسائل الغيبية الاجتهادية عند المذاهب الإسلامية. هذا هو الأصلح والأسلم...

(11) - أقدم من اسمه

بقلم : السيد عبد الحافظ عبد ربه⁽¹⁾

من الثابت تاريخياً أن المذهب الإباضي في عُمان أقدم من اسمه، كما أن الإباضية في عُمان قديمة قدم الإسلام فيها، كذلك تعتبر عمان الوطن الأم للإباضية في العالم الإسلامي⁽²⁾ ونحن نرى

(1) إن الشيخ عبد الحافظ عبد ربه، يعد من كبار العلماء الأزهرين المعاصرين المتوفى رحمه الله سنة 1990م، وهو ذو جنسية مصرية، فقد ساهم مساهمة فعالة في إغناء الفكر الإسلامي المعاصر من خلال مؤلفاته الكثيرة التي تزيد على 34 كتاباً، ومن أهمها : - بحوث في قصص القرآن، - الوحدة الإسلامية من القرآن والسنة، - أضواء على تفسير القرآن الكريم في ثلاثين جزءاً، - الإباضية مذهب وسلوك.

إن الأمانة العلمية الإسلامية تفرض علينا عليها أن نقول : إن ما كتبه عن الإباضية في هذا الكتاب، تميز بالتزكية المطلقة حيث يقول : فالإباضية أصبحوا في الواقع هم اللغة الصحيحة، فهم الفرقة الناجية التي أخبر عنها النبي ﷺ في كل أحاديثه : (الإباضية مذهب وسلوك ص:246).

إن هذه الأحكام المطلقة تتناقض مع الحقيقة، فالإباضية يوجد فيهم : الورع، العادل، الصادق، الكريم. كما يوجد فيهم الفاسق، الظالم، الكاذب، كبقية البشر ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء﴾ (النساء:49). أما الفرقة الناجية فتتمثل في كل مسلم طبق الإسلام في سلوكه العملي الصالح سواء كان إباضياً أو مالكياً، أو حنفياً أو حنبلياً، أو شافعيّاً، أو شيعياً أو وهابياً. هذا هو الفهم الأصح والأسلم.

(2) إن المصادر التاريخية تؤكد لنا أن البصرة هي المركز الأول للحركة .. =

من خلال الدراسات المستوعبة، أن الإباضية هي أول الفرق الإسلامية التي تعتمد على القرآن الكريم والسنة المطهرة والاجتهاد، وأن الإيمان في منظورها تصديق بالقلب، وإقرار باللسان وعمل بالأركان... ومن يستوعب التاريخ الإباضي، ويتبع دراسته يرى أن المسلمين في عهد الرسول ﷺ آمنوا بما أنزل على الرسول، ولم تكن لهم حاجة إلى تأويل القرآن، أو بحث المتشابه فيه، وبعد وفاة الرسول - وبعد انتشار الإسلام - أخذت الجماعة الإسلامية تحاول فهم العقيدة وتحاول شرحها، وطبيعي جدا، أن يختلف المسلمون في الشرح والفهم، وحين ظهرت الفتنة الأولى في الإسلام، بعد السنين الست الأول من خلافة عثمان، وأدت ما أدت إليه من اختلال في الفكر الإسلامي عامة...

وبدأ أهل الدعوة يتلمسون الحلول من القرآن الكريم، ومن الأحاديث النبوية الشريفة، وبدأوا يتساءلون - فيما بينهم - عن المسلم الحقيقي وعن الإيمان، وعن جوهر العقيدة، وعن مسؤولية الإنسان وعن إرادة الله وصفاته وأسمائه؟⁽³⁾.

=.. الإباضية في نشأتها بزعامة الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني المتوفى سنة 93هـ بالبصرة وتعتبر عمان هي الوطن الأصلي للإباضية منذ وفاة الإمام جابر بن زيد رحمه الله، لأن أنصاره انتقلوا إلى عمان بعد أن تعرض المذهب الإباضي إلى المطاردة في البصرة عقب وفاة أبي عبيدة في أواخر عصر أبي جعفر المنصور العباسي المتوفى سنة 158هـ.

(3) يعتبر هذا العلم علم التوحيد أو أصول الدين أو علم الكلام، وهذا العلم ارتبط بالأحداث السياسية والتطورات الفكرية لاسيما الخلافة والقضاء والقدر.

وطبيعي جدا أن المسلمين الأوائل كان تفكيرهم إسلاميا عريا خالصًا، ثم بعد ذلك اتصل الفكر العربي بتراث البلاد التي فتحها هؤلاء العرب، وبدأ يظهر في تفكير المسلمين استعابهم للفلسفة والفكر، والدرسات القديمة السابقة على الإسلام.

مع ملاحظة أن المذهب يعتمد كثيرًا في مقوله ومنقوله، وبحوثه ودروسه على عبد بن عباس حبر الأمة وفقه السنة، لاسيما في التفسير والأحاديث فهو بحق كما يعتبره الإباضيون - وكما يعتبر معاصروه معه كذلك من أصحاب رسول الله - الحلقة الأولى لسلسلة المذهب الإباضي.

ومن ناحية التاريخ فإن الفكر الإباضي له نظرة عالمية إسلامية، تقوم على مساحة واسعة وتعبير عن فكرة وحدة الأمة العربية الإسلامية.

وهذا المذهب أقدم المذاهب تأسيسًا، وعلماءه أكثر العلماء تأليفًا، فهم أول من دون تفسير القرآن، وأول من دون الحديث، وأول من دون الفقه والأصول وكثيرًا من العلوم والفنون⁽⁴⁾.

تعقيب : (1) - قوله : إن الإباضية هي أول الفرق الإسلامية تعتمد على القرآن والسنة والإجتهد، فإن جمع الفرق الإسلامية هي بدورها تعتمد على تلك المصادر الأساسية في آرائها، ولكن المشكل المطروح إلى يومنا هذا، تلك الآراء الصادرة عن الفرق الإسلامية، فمثلًا الإباضية

(4) السيد عبد الحافظ عبد ربه : الإباضية مذهب وسلوك ص: 256/257، الناشر مكتبة الإستقامة - روي سلطنة عُمان 1986.

يرون أن الإيمان والإسلام هما تصديق بالقلب، وقول باللسان وعمل صالح بالجوارح وبالتالي لا يجوز الفصل بين القول والعمل.
أما بالنسبة إلى الأشعرية فترى بأن الإيمان من أتى بالقول وضيع العمل فهذا المسلم يعد مؤمناً فاسقاً «كتاب اللمع للإمام الأشعري ص:123».

(2) - قوله : إن الفكر الإباضي له نظرة عالمية إسلامية، نقول في هذا المسار : إن الفكر الإباضي جاء ليحسم أصالة الفكر الإسلامي الذي يعبر عن فطرة الإنسان السليم الذي يحترم كرامته وإنسانيته ولا يؤمن إلا بالعقيدة الإسلامية السليمة التي هي القاسم المشترك بين الناس جميعاً.

ولعل من المفيد أن نستشهد برأي شهيد الإسلام سيد قطب رحمه الله في هذه المسألة : «جاء الإسلام ليقول للناس : إن هناك إنسانية واحدة، ترجع إلى أصل واحد، وتتجه إلى إله واحد، وإن اختلاف الأجناس والألوان، واختلاف الرقعة والمكان، واختلاف العشائر والآباء... كل أولئك لم يكن، ليتفرق الناس ويختصموا - ولكن ليتعارفوا ويتآلفوا» «أيأيتها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير» «الحجرات:13»⁽⁵⁾.

إذن فإن الإسلام قد أرجع كرامة الإنسان إلى فضيلة التقوى التي هي المقياس الوحيد لكل سلوك المسلمين، هذا المبدأ الفطري

(5) سيد قطب - هذا الدين - ص:77 دار الشروق - بيروت 1978.

الواضح قد نهجه الإباضية فدافعوا عنه تاريخيا من خلال آرائهم التربوية والاجتماعية والسياسية لبناء قدسية وحدة أمتنا الإسلامية.

(3) - وأخيرا بين لنا السيد عبد الحافظ أن الإباضية، لهم الأسبقية في التأليف، فالمصادر التاريخية، تقول إن الإمام جابر بن زيد (ت 93هـ) تمكن من تأليف موسوعة إسلامية سماها الديوان، جمع فيه الأحاديث التي رواها عن الصحابة والتابعين ثم بين فيه آراءه وفتاويه في المسائل الفقهية والاجتماعية - ويقال إن هذا الديوان يقع في عدة أجزاء يعجز عن حمله البعير. وقد ذكر هذه الحقيقة عدة علماء ودكاترة في أبحاثهم المنهجية القائمة على القرائن المادية والحوادث التاريخية.

يقول الدكتور عوض محمد خليفات في كتابه نشأة الحركة الإباضية ص: 88 مايلي : «مما مر يتبين لنا بوضوح أن جابر بن زيد قد اكتسب علما واسعا بعد إقامته في البصرة وأنه أصبح من أبرز التابعين الأوائل في علم الحديث والتفسير والعلوم الدينية».

- إن هدفنا من هذا التعقيب هو إثراء ما كتبه الشيخ عبد الحفيظ وبلورته وجعله، في نسقه الإسلامي الكلي.

(12) - دولة تيهرت الرستمية

بقلم : الأستاذ أحمد توفيق المدني⁽¹⁾

أما الدولة فقد كانت مؤسسة على سنن الجمهورية الإسلامية في أيام الخلفاء الراشدين رئيسها يدعى أمير المؤمنين، ينتخبه القوم في أول الأمر انتخاباً حراً، وهو يستشير في كبار الأمور الشراة أي عظماء المذهب والعلماء وفي الأمور العامة يستشير وجوه القوم والقبائل.

والإمام يعين القضاة بعد استشارة الشراة، وكان قضاة الرستمين على أكبر نصيب من الإستقامة والنزاهة، وكان الضبط على نوعين فهناك فرقة الشرطة التي تقوم بالحراسة والسهر على الأمن، وهناك فرقة الحسبة التي أسسها الإمام أبو اليقظان⁽²⁾، وهي مختارة من وجوه القوم وصالحيتهم تطوف المدينة آمرة بالمعروف

(1) أحمد بن محمد توفيق المدني : ولد سنة 1889 بتونس وتوفي رحمه الله سنة 1984 بالجزائر. يعد أحد أعلام الجزائريين المعاصرين، ساهم مساهمة فعالة في المجال السياسي والكفاحي والثقافي لبناء وطنه والمغرب العربي، والعالم الإسلامي.

أهم آثاره الفكرية : - قرطاجنة في أربعة عصور، - كتاب الجزائر، - المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، - حياة كفاح في ثلاثة أجزاء.

(2) الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح : يعد الإمام الخامس في الدولة الرستمية دامت خلافته من سنة 241هـ إلى سنة 281هـ، رجل زاهد، ورع، عالم، له رسالة في مشكلة خلق القرآن.

ناهية عن المنكر، حائثة على الرفق بالحيوان، وكانت مداخيل الدولة من أموال الزكاة وحدها، وتصرف في مصالح الدولة العامة. وخلاصة القول أنه يحق للجزائر، أن ترفع رأسها مفتخرة، بهذه الدولة الوطنية التي قلما شاهدت بلاد الإسلام قاطبة مثلها بعد دولة الراشدين.

فمن علماء الدولة الرستمية المحدث الأكبر سيدي ابراهيم بن عبد الرحمن التنسي المالكي، وقد أخذ العلم عن أبي العالي القالي صاحب الأمالي الشهيرة، واشتهر من علماء غير الإباضية في ذلك العصر قاسم بن عبد الرحمن وزكرياء بن بكر. أما علماء الإباضية فقد نبغ منهم الكثير، ومن أشهرهم أبو عثمان سعد بن أبي يونس وقد بلغ مبلغًا عظيمًا في العلم والفضل والقاضي محمد بن عبد الله بن الشيخ، ومن أعظم شعراء الدولة الرستمية بكر بن حماد، وأحمد بن الفتح خراز.

ولقد بلغ التسامح الديني في دولة بني رستم مبلغًا سمح لليهود بمزاولة العلم كالمسلمين والتبحر فيه، حتى نبغ من بينهم يهوذا ابن قريش الذي ترك كتابا عجيبا لا يزال إلى اليوم موجودا بمكتبة أكسفورد وقد نظر في كتابه هذا بين العربية والعبرية والبربرية، وأثبت أن أصلها واحد، وكان يتقن تلك اللغات الثلاث علاوة على الفارسية فكان هذا اليهودي التهرتي أول واضح لعلم النحو التنظيري.

إلا أن هذه الدولة قد اعترتها في آخر أيامها ما يعتري الدول الهرمة من الفتن الداخلية وضعف السلطة المركزية، زد على ذلك تفاقم الخلافات المذهبية وظهور دعوة الشيعة وطغيانها، حتى قضت

على هذه الدولة وأتلفتها، ودخلت البلاد في طاعة عبيد الله المهدي⁽³⁾.

دامت الدولة الرستمية 136 عامًا من سنة 160 هجرية إلى سنة 296هـ⁽⁴⁾.

(3) إن سبب سقوط الدولة الرستمية يعود إلى ظهور أمر الشيعة ثم الفساد الخلقي الذي بدأ ينخر الأسرة الحاكمة خاصة حب الزعامة والعدول عن الورع والتقوى، فالإمام اليقظان بن أبي اليقظان قد أخذ الإمامة غصبًا، ولم يدم أكثر من سنتين في حكمه فقتله أبو عبد الله الحجاني الشيعي في شوال سنة 296هـ.

(4) توفيق المدني : كتاب الجزائر - ص: 21-79 - المطبعة العربية الجزائرية سنة 1350هـ/1930م.

(13) - الإباضية في الميدان

بقلم : الدكتور التونسي عبد العزيز المجذوب⁽¹⁾

وأبرز ما يتصف به الإباضيون تمسكهم الشديد بالدين، بأداء فروضه، وتجنب نواحيه إلى حد الغلو، وبغضهم المفرط لأصحاب الظلم والفساد، وبفضل هاتين الصفتين استطاعوا أن يحققوا لأنفسهم عزا دينيا ومجدا سياسيا، خلد ذكرهما التاريخ، وسنحاول الكشف عن ذلك قاصرين الحديث على الدور الذي لعبته هذه الفرقة في بلاد المغرب عموما وإفريقية على وجه أخص.

بعد نشوء هذه الفرقة وتركز قواعدها على يد صاحبها الأول في مطلع القرن الثاني ظهر منها أئمة أفذاذ برزوا في العلم والدين حتى بلغوا درجة الإجتهااد⁽²⁾، فسنوا لحزبهم مبادئ وقواعد خاصة،

(1) الأستاذ عبد العزيز المجذوب عالم تونسي معاصر درس المذاهب الإسلامية بإفريقيا إلى قيام الدولة الزيرية التي أسسها بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة 361هـ.

إن دراسته التي قام بها حول المذاهب السائدة في شمال إفريقيا آنذاك الخوارج، الإباضية الشيعية، المالكية، الشافعية، تميزت بالطابع الموضوعي والبحث العميق معتمداً في ذلك على المصادر المباشرة. أهم كتبه : الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية.

(2) اعتقد أنه يقصد بذلك الأئمة الأربعة الذين كان لهم قدم ثابت في العلوم الشرعية وهؤلاء هم : - الإمام عبد الرحمن بن رستم، يقال عنه أنه كان له تفسير في القرآن إلا أن هذا التفسير قد ضاع. =..

وشرعوا له فقها وأصولا في العبادات والمعتقدات تحولت به من حزب سياسي ومن مجرد فرقة دينية إلى مذهب سني.

وذلك لأن أتباعه حفظوا على صفاء الرسالة المحمدية في أصول مذهبهم، ولو ينحرفوا عن المنهج القويم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته البررة في سلوكهم وأمور معاشهم، ولا اقترف ولاتهم إثما ولا مارسوا في قيادتهم ظلما، ولا أيّ لون من ألوان العسف التي لم يبرأ منها إلا القليل من الولاة سواهم.

بل إن الظلم في حقهم كان مستحيلا، لا لكونهم معصومين بل لأن رجل الدين عندهم ورجل السياسة واحد، والقائم بأمر الناس فيهم هو الإمام نفسه، وتلك هي قاعدة الإسلام في الحكم، التي سار عليها الخلفاء الراشدون، وعليها حافظوا، ودونها كافحوا.

فمن الطبيعي أن ينتشر مذهب هذا شأنه وأن يقبل على أتباعه الناس ببلاد المغرب ليجدوا في أكتافه الأمن والكرامة، وهم من سئموا حياة الإضطراب والظلم على أيدي الكثير من عمال بني أمية وبني العباس.

والواقع أن الإباضية قد تمكنت من فرض وجودها التاريخي، فحققت عزا دينيا ذا بالٍ بقيت آثاره إلى اليوم في أتباعه الذين يعيشون بيننا، إلتزموا خدمة الدين ومقاومة البدع والرذيلة حازمين في أمرهم

=.. - الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن فقيه وعالم، له كتاب فتاوي نفوسة قد حققه الأستاذ طلاي إبراهيم.

- الإمام أفلح بن عبد الوهاب فقيه وشاعر.

- الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح عالم، له رسالة في مسألة خلق القرآن الكريم.

بالمعروف ونهيمهم عن المنكر، كما حققت مجدا سياسيا كان له شأنه في تاريخ الإسلام بالمغرب العربي.

ونبه إلى أمر له أهمية بالنسبة لمن يريد أن يقف على دور الإباضية بإفريقية وموقف الناس منها، ذلك أن كتب التاريخ في سردها للأحداث التي جدت⁽³⁾ بين ولاية الأمر بإفريقية وبين أتباع المذهب الإباضي تعتبر هؤلاء ثائرين خارجين عن الطاعة بل عن الدين. ينعنون بما ينعت به كل متمرد وكان أصحاب تلك الكتب - وهم سنيون مالكيون غالبا- يعدون الإباضية فرقة كسواها من فرق الخوارج الغالية -الغلو- في المعتقد، ولايعنيهم بينها وبين غيرها استنادا إلى ما بدا منها ومن أتباعها من تصرف باعدًا بينها وبين الفرق المبتدعة⁽⁴⁾.

(3) عظمت وظهرت.

(4) عبد العزيز المجدوب : الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية ص: 104 - 110 الدار التونسية للنشر والتوزيع - 1975 تونس.

14) - ابن الصغير⁽¹⁾ ينوه بعدالة الإمام عبد الرحمن بن رستم⁽²⁾ وورعه

لما ولي عبد الرحمن بن رستم ما ولي من أمور الناس شمر
ميزره وأحسن سيرته، وجلس في مسجده للأرملة والضعيف، ولا
يخاف في الله لومة لائم، فطار ذلك في أطراف الأرض مشارقها
ومغاربها، حتى اتصل ذلك من إخوانهم من أهل البصرة⁽³⁾ وغيرها

(1) إن ابن الصغير يعد من الذين أرخوا تاريخ الدولة الرستمية لاسيما في آخر
حياتها، وقد جاء إليها مهاجرا من الحجاز أو العراق، أما انتماءه المذهبي
فالراجح أنه شيعي... فقد التزم بالموضوعية في نقل حقيقة الحوادث التي
عاشها يقول مايلي : «وكانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه
وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئا، إلا أن الفقهاء تناجت المسائل فيما بينهم
وتناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خلقتها فيه، ومن أتى إلى حلق الإباضية
من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق
غيرهم كان سبيله كذلك» (أخبار الأئمة الرستميين ابن الصغير ص: 102 -
تحقيق د. محمد ناصر ود. إبراهيم بحان).

(2) إن عبد الرحمن بن رستم يعد من خريجي مدرسة الإمام الكبير أبي عبيدة
سلم بن أبي كريمة أما بالنسبة إلى نسبه فهو عبد الرحمن بن رستم بن بهرام
الفارسي وهو الذي أسس الدولة الرستمية التي استمر حكمها من سنة 160هـ
إلى سنة 294هـ - وعاصمتها تاهرت كان رحمه الله رجلا عظيما ذكيا، صلبا.
زاهدا، دامت خلافة من سنة 160هـ إلى سنة 171هـ.

(3) يقصد بهذا إباضية البصرة، التي كانت مهذا للمذهب الإباضي ومنها
انتشر في الحجاز وشمال إفريقيا، يقول المؤرخون إن البصرة في القرن الأول.. =

من البلدان، فلما علموا ذلك من أمره جمعوا أموالاً عظيمة وبعثوا بها مع نفر من ثقاتهم، وقال بعضهم لبعض : قد ظهر بالمغرب إمام ملاءة عدلاً، وسوف يملك المشرق ويملاء عدلاً، فانهضوا إليه بما معكم من هذه الأموال حتى تردوا المدينة التي سكنها، فإن كان على ما نُقِلَ لنا من حسن طريقتة وصحة سيرته فادفعوها إليه، وإن كان على غير ذلك فانظروا إلى أفعاله وما يتولاه من الأحكام بين رعيته ثم آتونا بذلك كله، فمضى القوم حتى أتوا المدينة يسألون كل من لقوه من الناس عن دار الإمام عبد الرحمن، حتى وقفوا عليها وأصابوا عند بابها غلاماً يعجن طينا، ورجلاً على سطح يصلح شقاقاً فيه، والغلام يناوله ما يصلح به، فسلموا على الغلام، فرد السلام ثم قالوا : هذه دار الإمام؟ فقال : نعم، فقالوا : له استأذن لنا منه وأعلمه أنارسل إخوانه إليه من البصرة فرفع الغلام رأسه إلى سيده وقد علم أنه سمع كلامهم، فقال : قل للقوم يصبروا قليلاً، ثم أقبل على ما كان عليه من إصلاح عمله حتى انقضى والقوم ينظرون إليه وهم شاكون فيه هل هو صاحبهم أم لا، حتى نزل عن سطحه إلى داره فغسل ما كان بيده من أثر الطين ثم توضأ وضوء الصلاة فأذن للقوم فدخلوا عليه فوجدوا رجلاً جالساً على حصير فوقه جلد وليس في بيته شيء سوى وسادته التي ينام عليها وسيفه ورمحه وفرسه مربوط في ناحية من داره،

... الهجري والثاني كانت عمانية المسكن وإباضية الفكر، لقد صدق المثل السائر الذي شبه العلم بالطائر فقال : باض بالمدينة وفرخ بالبصرة، وطار إلى عُمان وإلى شمال إفريقيا.

فسلموا عليه وأعلموه أنهم رسل إخوانه إليه، فأمر غلامه بإحضار طعامه فأتاه بمائدة عليها قرص سخنت وسمن وشيء من ملح، فأمر بتلك القرص فهشمت وأمر بالسمن فثلث به، ثم قال : على إسم الله أدنوا وكلوا ثم أكل معهم بأكلهم، فلما انقضى طعامهم قال : ما مرادكم وما جاء بكم؟ فقالوا له : نحب أن تأذن لنا حتى نخلوا فيما بيننا ثم نكلمك بعد ذلك فقال : افعلوا فجلسوا نجيا فقال بعضهم لبعض يكفيننا من السؤال عنه ما رأينا منه من إصلاحه لداره بنفسه، ومطعمه وملبسه وحلية بيته، فما نرى إلا أن ندفع إليه المال ولا نشاور أحدا فيه⁽⁴⁾.

أيها المسلم الكريم، إن هذه الصورة النادرة في عالمنا الإسلامي والعالم تجعلنا بلاريب نذكر صورة حياة الرسول الكريم وحياة الخلفاء الراشدين والخليفة الأموي الزاهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم، فحياة هؤلاء تميزت بالورع والتقوى والزهد عن مفاتن الدنيا، بالفعل إن الوفد البصري قد دفع للإمام عبد الرحمن بن رستم ثلاثة أحمال من المال. فوزعت بحضورهم وأعيان دولة على مصالح الدولة ثم فقراء الناس.

ويصدق قول الله عز وجل في هؤلاء الأبرار : ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾ (الرعد:29).

(4) أخبار الأئمة الرستميين ابن الصغير من القرن الثالث الهجري، تحقيق : د. محمد ناصر وإبراهيم بحاز - ص : 28-29-30 - المطبوعات الجميلة الجزائر - 1986 - .

(15) - لقد عمل الرستميون البربر طوال فترة حكمهم على نشر العلوم العربية والإسلام بقلم : عثمان سعدي⁽¹⁾

لقد زعم البعض بأن الدولة الرستمية أسست على قاعدة بربرية، بينما الحقائق تكذب ذلك، ولقد عمل الرستميون البربر طوال فترة حكمهم التي دامت أكثر من قرن وربع قرن على نشر علوم العربية والإسلام، وبناء المساجد من طرابلس حتى وهران، في سائر المدن والقرى، واتخذوها مدارس وجامعات لتحفيظ القرآن الكريم، ونشر علوم العربية والإسلام. بل وكان أول إمام لهذه الدولة أي أول رئيس لها عبد الرحمن بن رستم كان عالماً، ألف كتاباً في تفسير القرآن لم يصل إلينا. ويبدو أنه أثلّف ضمن الصراع المذهبي اثر اضمحلال هذه الدولة وكان الإمام عبد الوهاب من رؤساء الدولة يحب العلم ويعمل على نشره وتشجيع اكتسابه. كان يرسل البعثات للعراق لشراء الكتب ولا يمل قراءتها شتاءً وصيفاً

(1) ولد السيد عثمان سعدي في بلدية تازبنت ولاية تبسة - عام 1930م وهو من طلاب ابن باديس، ناضل في المجال السياسي منذ صغر سنه إلى يومنا هذا، في داخل الجزائر وخارجها، حيث عين سفيراً للجزائر في الكويت ثم العراق ثم سوريا.

أهم كتبه : - الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، - عروبة الجزائر عبر التاريخ.

وقد ألف كتاباً عنوانه : «نوازل نفوسه»⁽²⁾ وهو مجموعة من الفتاوي الشرعية، كان علماء نفوسة يستفتونه فيها.

وكان الإمام أفلح⁽³⁾ عالماً في الفلك والحساب، كما كان شاعراً، وله قصيدة يحث فيها على طلب العلم يقول فيها :

العلم أبقى لأهل العلم آثـارا

يُريك أشخاصهم روحا وأبكارا

حيٌّ - وإن مات - ذو علم وذو ورع

ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا

ولم تقتصر الثقافة الرسمية على الرجال فحسب بل شملت المرأة أيضاً، حيث شاركت كثيرات منهن في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية، منهن أخت الإمام أفلح التي حذقت علم الحساب، والفلك والتنجيم⁽⁴⁾.

ومن مراكز الفكر والثقافة في الدولة الرسمية مدينة تيهرت،

(2) إن كتاب مسائل نفوسة للإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن المتوفى 250هـ قد حققه وطبعه الأستاذ الكريم : إبراهيم بن محمد طلاي سنة 1991، وهو يشتمل على 193 صفحة وكل فتاويه تدور حول مشاكل الحياة الفردية والعلاقات الاجتماعية في النكاح والطلاق والبيع والشراء والجنائيات.

(3) كان الإمام أفلح بن عبد الوهاب عالماً، شاعراً، وقائداً محنكاً، قويت الدولة الرسمية في عصره، فدامت خلافته من سنة 190هـ إلى سنة 240هـ - وامتدت سلطة الدولة الرسمية من الحدود المغربية إلى الحدود المصرية شرقاً تقريباً.

(4) راجع كتابنا : «مسلمات صالحات في روضة الإيمان».

ومدينة شروس بجبل نفوسة ومدينة جادو، وقرينة أجنان
وجزيرة جربة ووارجلان، وبرز جبل نفوسة كمنارة للفكر والعلم
في عهد الدولة الرستميين، وظهر به علماء بارزون منهم :
الشيخ مهدي النفوسي، وعمروس بن فتح وأبو عبيدة عبد
الحميد السجناوني وغيرهم.

واشتهر من علماء تيهرت ابن أبي إدريس وأحمد بن منصور
وأبو عبيدة الأعرج وقد سجل مآثر هؤلاء العلماء أحمد الدرجيني في
طبقاته، وأحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي في كتابه السير.
وكانت تيهرت عاصمة الرستميين تضم مكتبة من أضخم ما
عرفت مدن المغرب العربي حيث حوت ثلاثمائة ألف مجلد من
مختلف أنواع الآداب والفنون والعلوم، وقد قام بتخريبها الفاطميون
عام 296هـ بعد أن حفظوا فقط على كتب الرياضيات والفلك
والهندسة والطب.

وقد قام هؤلاء العلماء الأجلاء، وغيرهم في عهد الدولة
الرستمية بدور هام، في نشر اللغة العربية وعلوم الدين بين البربر، وهذا
رد حاسم على الشعوبيين بالمغرب العربي، الذين يحاولون طبع هذه
الدولة بالطابع البربري العرقي الشعوبي، المعادي للإلتقاء العربي
لأقطار المغرب. «عثمان سعدي»⁽⁵⁾.

(5) عثمان سعدي : عروبة الجزائر عبر التاريخ ص: 84-86 - الشركة الوطنية
والتوزيع الجزائر - 1983 - .

16) - دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا بقلم : الدكتور أحمد إلياس حسين⁽¹⁾

إن دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالتجارة، ولما كانت غرب إفريقيا، قد دخلت في نطاق التجارة القاري بصورة واسعة منذ القرن الثامن الميلادي، فإن التجار قد بدأوا يَصِلُونَ بانتظام إلى منطقة المالنك التي تشرف على مصادر الذهب. وكان التجار إلى جانب أعمالهم التجارية يقومون بالدعوة إلى الإسلام، وقد ارتبطت التجارة وانتشار الإسلام في غرب إفريقيا إلى الدرجة التي أصبح من العسير معها وضع حد فاصل بين الدور الذي قام به التجار من جهة وبين دور العلماء ودعاة الإسلام من جهة أخرى وغالبا يجتمع الدوران في نفس الرجل، ويتضح ذلك من تتبع سير الإباضية الذين كانوا يمارسون التجارة على نطاق واسع مع غرب إفريقيا منذ القرن الثامن الميلادي.

فقد أدى إستقرار الإباضية على أطراف الصحراء في واحات

(1) الدكتور أحمد إلياس حسين : مفكر إسلامي معاصر، ذو جنسية سودانية، اهتم بالدراسات الإقتصادية الإسلامية، أهم آثاره الفكرية :

أ) - الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن 16م، كما عرفها الجغرافيون العرب، رسالة ماجستير من كلية الآداب جامعة القاهرة.

ب) - العلاقات بين مملكة غانة والمغرب العربي بين القرنين : 8م - 11م، رسالة دكتوراه بمعهد الدراسات الإفريقية - جامعة القاهرة.

فزان وجبل نفوسة وغدامس ووحدات الجزائر منذ القرن الثامن الميلادي إلى ارتباطهم القوي بتجارة الصحراء، وعزز من ذلك الإرتباط اعتناق مجموعات من قبيلتي هوارة وزنانة للمذهب الإباضي وتخصص كثير منهم بالتجارة عبر الصحراء، وتوسعت تجارة الصحراء بقيام الدولة الرستمية الإباضية في تيهرت بالجزائر عام 776م، فقد أشرفت هذه الدولة على المنطقة الصحراوية ما بين سجلماسة - جنوب المغرب الأقصى، وزويلة بليبيا - التي دخلت ضمن دائرة نفوذها، واهتم الرستميون بالتجارة وطرقها فحفروا الآبار للقوافل في المناطق الداخلية في الصحراء وأرسلوا الجنود بصحبة التجارة لتأمينهم من الأماكن التي يخشى فيها من غارات البدو.

ولم ينحصر جهود الإباضية في نشر الإسلام على نشاط التجارة فقط. بل كانت لهم برامج مخططة لأهل الدعوة تضمنها نظام العزابة⁽²⁾ وأهل الدعوة مجموعة من رجال العلم اتجهت جهودهم لإعلاء كلمة الله وبث تعاليم دينه وتبصير الناس بأمر دينهم ودنياهم، وقد تركز جانب كبير من اهتمام أهل الدعوة على غرب إفريقيا التي كانت تعتبر - دار دعوة - فأنشأوا الربط منذ مستهل القرن الثامن الميلادي في المنطقة الصحراوية الواقعة بين ورجلان وسجلماسة.

(2) العزابة : مصطلح إباضي، وهو نظام إسلامي تربوي، اجتماعي هدفه الأساسي هو المحافظة على الأخلاق القرآنية في المجتمع المسلم، أسس هذا النظام أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي الذي ولد سنة 345هـ وتوفي سنة 440هـ. وفي الصفحات القادمة سنشرح هذا النظام شرحاً كافياً.

ويتضح من النصوص التي جمعها : لويسكي LE WICKI⁽³⁾ - نشاط أهل الدعوة الواسع جنوبي الصحراء الكبرى، واقترن ذكر الكثير من فقهاء الإباضية بغرب إفريقيا في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين والفقهاء الذين وردت أخبار زيارتهم إلى غرب إفريقيا يعتبرون من كبار الأساتذة في عصورهم، وقد وردت أخبار زيارتهم إلى تلك المناطق عرضاً أثناء تناول بعض أخبارهم مما يرجع احتمال ترددهم الدائم على جنوبي الصحراء ولم تسجله لنا كتب السير وإذا كان كبار الفقهاء قد ترددوا على غرب إفريقيا فهذا يعني أن هنالك مجموعة كبيرة من أهل الدعوة كانوا يقومون بنفس العمل ولم تهتم كتب السير بأخبارهم.

ولذلك فقد تمكن الإباضية من تجار وفقهاء من تقوية اتصالاتهم بغرب إفريقيا منذ القرن الثامن الميلادي، ولعل كثيراً من تلك المناطق قد اعتنقت الإسلام على يد الإباضية منذ ذلك الوقت، فقد ذكر الشماخي : «أن بلاد السودان بغانة ومايلها كانت تدين بالمذهب الإباضي حتى تسامعت بهم المخالفون فقصدوها من كل أوب فردوهم إلى مذهبهم»⁽⁴⁾.

(3) LE Wicki - Tadeuz لويسكي تاداز : مستشرق بولوني معاصر، إهتم بالدراسات الإباضية، العقائدية والتاريخية والاجتماعية، أهم آثاره :
أ - مساهمته في الموسوعة الإسلامية - مادة الإباضية - .
ب - تواجد الجغرافي المجموعات الإباضية بشمال إفريقيا في القرون الوسطى.
(4) أحمد بن سعيد الشماخي (ت928هـ/1521م) كتاب السير ص:457-458 - ط:حجرية قسنطينة الجزائر - 1301هـ - .

ويفهم من هذه الإشارة أن الإباضية هم أول من قام بتركيز الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا قبل وصول الأعداد الكبيرة من فقهاء المذاهب الأخرى، ومن المعروف أن المذهب الملكي - الذي ساد في غرب إفريقيا - قد ارتبطت سيادته بحركة المرابطين في الصحراء الغربية في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ويبدو أن انتشاره الواسع كان على حساب المذهب الإباضي الذي ساد في المنطقة منذ القرن الثامن الميلادي، وقد ظلت بقايا الإباضية حية في امبراطورية مالي حتى القرن الرابع عشر الميلادي حيث لاحظ ذلك ابن بطوطة⁽⁵⁾.

ومن خلال هذا النص نستنتج أن الإباضية كانوا من الرواد الدعوة الإسلامية المعتدلة التي جمعت بين الدين والدنيا لا إفراط ولا تفريط، لتأمل قول الله عز وجل : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ «القصص: 77».

(5) الدكتور أحمد إلياس حسين : دور فقهاء الإباضية في إسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادي - ص: 15-16 - مكتبة الضامري للنشر والتوزيع السيب - سلطنة عمان - ط 1 - .

(17) - إن المذهب الإباضي من أعظم المذاهب

الإسلامية أهمية وأقدمها ظهوراً

بقلم : الأستاذ الدكتور محمد الطالبي التونسي⁽¹⁾

إن المذهب الإباضي من أعظم المذاهب الإسلامية أهمية وأقدمها ظهوراً، ولقد لعب هذا المذهب دوراً هاماً جداً، على ركب⁽²⁾ المغرب عامة وإفريقية خاصة - فلقد شارك مشاركة هامة جداً، في تلك الثورات العارمة التي هزت المغرب هزاً عنيفاً إبتداء من سنة 122هـ وكادت تضع نقط نهاية لحكم الأمويين والعباسيين من بعدهم، في هذه الربوع، ولا شك أن تلك الثورات كانت ناشئة عن ظلم الولاة وسوء تقدير الخلفاء للوضع،

(1) الدكتور محمد الطالبي مفكر معاصر ذو جنسية تونسية أهم مؤلفاته : دراسات في تاريخ إفريقية، وفي الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط، وهو الذي أشرف على شهادة الكفاءة في البحث العلمي، التي قدمها. الأستاذ فرحات الجعبري تحت عنوان : نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة سنة 1975م، ونظراً لأهمية هذه الأطروحة العلمية التي تعكس النظام الاجتماعي الإسلامي، فإن المعهد القومي للآثار والفنون الإسلامية بتونس قام بطبع ونشر هذا التراث على حسابه رغبة منه في إظهار العمق الحقيقي للتراث الإسلامي الأصيل.

(2) ركب يركب ركحاً على الشيء اعتمد عليه ركن ولجأ إليه.

وتنكرهم لمبادئ الإسلام⁽³⁾.

ولا شك أيضًا أن زعماء المذهب الإباضي القادمين من الشرق قد ساهموا مساهمة جلية في بث الإسلام في المغرب وترسيخ قدمه، فلقد أفتنوا البربر أن الظلم الذي ينالهم ليس من وحي الإسلام، وإنما هو من عمل من تنكر للإسلام، فلم يخلط هكذا البربر بين الدين وبين من يزعم أنه يمثله، فيظلم تحت ستاره، فكانت ثورة البربر على الظلم، لا على العرب من حيث هم عرب ولا على الدين، بل انطلقت ثورتهم باسم الإسلام وانضوت تحت لوائه.

وتمكن الإباضيون من إقامة دولة بالمغرب الأوسط - أي الدولة الرستمية - وعرفت عاصمة الدولة ازدهارًا وثرًا طائلاً، وربطت علاقات تجارية متينة ومثمرة مع الأندلس⁽⁴⁾، وممالك إفريقيا

(3) لقد كثرت الإضطهاد وتذمر الناس في شمال إفريقيا بسبب ظلم الولاة الأمويين والعباسيين لاسيما والي الأموي كلثوم بن عياض الذي عامل البربر المسلمين معاملة أهل الذمة وذلك بأداء الجزية عام 123هـ.

أنظر عبد الرحمن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام ج: 1 ص: 150-160. (4) إن العلاقة الثقافية والإقتصادية كانت قوية بين تيهرت والأندلس وقد أشار ابن حزم إلى وجود الإباضية في الأندلس من خلال كتابه جمهرة أنساب العرب ص: 463، فقال: «إن كل من ذكرنا معتزلة حاشا بني برزال وبني واسين فهم إباضية»، فقد ذكر سليمان الباروني في كتابه الأزهار الرياضية ج: 2 ص: 9-10 - أنه كانت ترد إلى تيهرت وتصدر منها أنواع البضائع إلى السودان وأقصى المغرب وبلاد الأندلس.

راجع: جودت عبد الكريم: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية - المؤسسة الوطنية للكتاب سنة 1984.

الواقعة في جنوب الصحراء، ونال هذه الدولة ما نال دول المغرب المعاصرة، فلقد غمرتها الموجة الفاطمية، وقضت عليها⁽⁵⁾.

غير أن المذهب الإباضي صمد صمودًا غريبًا، ناشئًا عن قوة الإيمان الذي يعمر قلوب أصحابه، ويجعلون يشبتون للمحن، وينسجمون مع الوضع دون تنكر لمثلهم العليا، وفي دون تضحية بالمقدسات، فلقد اهتدى الإباضيون، بفضل إخلاصهم لمبادئهم، لإيجاد الحلول الملائمة للوضع في كل الملابس التي مروا بها، وبالرغم عما نسجتهم من رياح متعاكسة لم تستطع أن تعفى أثرهم إلى اليوم.

ومن جملة هذه الحلول الطريقة التي مكنت المذهب الإباضي من المحافظة على كيانه، نظام العزابة⁽⁶⁾ الذي بقي قائمًا بجزيرة إلى عهد ليس بالبعيد، والذي بقي العمل به إلى

(5) إشارة إلى سقوط الدولة الرستمية في شوال 296هـ بزعامة أبي عبد الله الحجاجي الشيعي.

(6) إن المؤسس الحقيقي لنظام العزابة هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرستائي الذي ولد بمدينة فرسطا النفوسية الليبية سنة 345هـ أما وفاته فكانت 440هـ - بمدينة بلدة أعمر - قرب تيقورت.

لقد أمسى هو وطلابه ينتقلون ما بين جبل نفوسة وجربة والجريد وأريغ ثم وارجلان وميزاب، يأمرن أمتهم الإسلامية بالالتزام بالقيم الأخلاقية الإسلامية والتمسك بها، ونشر الدين الصحيح بينها.

والجدير بالذكر أن وادي ميزاب كان على مذهب الاعتزال ثم تحول إلى المذهب الإباضي بفضل ذلك العالم الجليل وطلابه حوالي سنة 410هـ. =..

اليوم في وادي ميزاب.

فهذا النظام جدير بالعناية والبحث لا لأنه ينير لنا - من الناحية التاريخية - جانباً هاماً من جوانب الحياة الاجتماعية، بل لأنه يفيد أيضاً الباحث الاجتماعي المعاصر، كما أنه يمثل مظهراً من مظاهر حضارتنا وتقاليدنا، بل قد يجد فيه علماء الاجتماع عامة شكلاً اجتماعياً برهن على نجاعته وفاعله طوال قرون عديدة ويمكن دراسته دراسة مقارنة على أوسع بساط⁽⁷⁾.

ومن حسن الحظ هو أن هذا النظام قد درس من طرف شباب تكون تكويننا عصرياً، وهو ينتمي إلى الأوساط الإباضية، وبفضل هذا

..= إن نظام العزابة هو نظام إسلامي خالص يقوم على القاعدة الشرعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغرس القيم الأخلاقية الإسلامية في المجتمع من خلال المسجد الذي يعتبر قلب الأمة.

وهناك شروط ضرورية يجب أن تتوفر في رجل العزابة :

- أن يكون مسلماً بالتمام عاقلاً وذا أخلاق.

- أن يكون حافظاً لكتاب الله عز وجل ومتزوجاً.

- أن يكون مضحياً ولا يأخذ أية أجره مادية عن عمله هذا.

ومن هنا نجد في رجال العزابة - الفلاح، التاجر، الأستاذ، المهندس،

الطبيب، النجار...إلخ. إنهم يمثلون شرائح المجتمع كله.

أما بالنسبة إلى أعضاء هيئة العزابة فيتراوح العدد بين 12 إلى 14 عضواً وعلى

رأسهم شيخ العزابة الذي يتولى رئاسة المسجد.

(7) راجع مايلي : - «الإباضية في الجزائر» للشيخ علي يحيي معمر.

- «وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية» لبكير بن سعيد أعوش.

- «حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي» للدكتور محمد ناصر.

الإنتماء فقد تأتي له ما قل أن يأتي لغيره، فقد اطلع على مصادر مخطوطة هامة، كما أنه استقى كثيرا من المعلومات عن طريق المشاهدة والحديث مع علماء المذهب، الذين يجمعون إلى العلم ما هو أثنى منه : حياة روحية ثرية، وإخلاصا لا يتزحزح للمبادئ. وأملنا أن يتولى الإباضيون أنفسهم أكثر فأكثر - التعريف بمذهبهم وبالذور الهام الذي لعبه في بناء الحياة العقلية والروحية الإسلامية - وفي بناء حضارتنا بصفة عامة، فهناك مخطوطات عديدة أن لها أن تغادر البيوت إلى المطابع حتى تسهم بدورها في نهضتنا، ويعم نفعها، فكل شيء ينقص إذا ما أنفق منه، إلا العلم» محمد الطالبي⁽⁸⁾.

(8) محمد الطالبي : مقدمة كتاب نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة تأليف فرحات الجعبري ص: 7-8 - المطبعة المصرية تونس 1975م.

18) - يقول الإمام عبد الحميد بن باديس عن شيخ الإباضية أبي اليقظان : «مسلم أخلص لله دينه، يجعل الإسلام في الصف الأول من كل أعماله»⁽¹⁾

تطالع ديوان أبي اليقظان مطالعة درس وإمعان فإذا بك قد

(1) - أ، - ب

- أم : الإمام عبد الحميد بن باديس : عالم من أعلام الأمة الإسلامية، ولد بقسنطينة سنة 1889م في أسرة مشهورة بالعلم والصلاح، يعد الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ورئيسًا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ نشأتها سنة 1931 توفي رحمه الله يوم 16 أفريل سنة 1940م، أهم آثاره : إصداره عدة صحف ومجلات : المنقذ، الشهاب، الشريعة والصراط، وله كتب قيمة: مجالس التذكير، العقائد الإسلامية، راجع كتابنا : «إسلام اليوم بين الأصالة والتحريف - المدرسة الباديسية».

(ب) : الشيخ أبو اليقظان : هو إبراهيم بن عيسى بن داود أبو اليقظان ولد بالقرارة - ولاية غرداية سنة 1888م، فقد تعلم في كتابتها تتلمذ على الإمام الكبير الشيخ أطفيش رحمه الله.

ولقد برز في المجال السياسي والاجتماعي للدفاع عن الإسلام والجزائر من خلال أعماله الفعالة الذي كان عضواً فعالاً في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم أصدر ثمانين جرائد أهمها : وادي ميزاب، والأمة، والمغرب والبستان. أهم مؤلفاته : - سلم الإستقامة في الفقه. - فتح نوافذ القرآن، - الإباضية في شمال إفريقيا، - خلاصة التاريخ الإسلامي للجزائر، - أشعة النور من سورة النور، - وله عدة مصادر فكرية مخطوطة، لقد توفي رحمه الله بالقرارة في 30 مارس 1973.

علمت نفسية الشاعر ورأيت روحه وقرأتها كما تقرأ كتابا مفتوحا ذلك لأنه لا يصنع الشعر، ولا يقوله رضوخا لظروف أو حبا في القول كيلا تمضي حادثة لا يكون له فيها قول، كما هو دَيْدَنْ -شأن- الكثير من الشعراء، بل أنت تدرك من تصفح الديوان بأن الشاعر يقول : الشعر عن تأثير حقيقي وعن شعور لانتشوبه شائبة الرياء فهو إن قال في مدح الرسول الأعظم ﷺ فقد كان في حالة غرام مفرط ترجم عليه جنانه قبل أن يمليه لسانه أو يخطه بنانه، وإن حاور وساجل فهو الذي يجعل قلبه ولسانه في صف واحد.

فلا ينطبق هذا إلا بوحى ذاك ولا يشعر ذلك إلا وترجم عليه هذا، وإن تكلم في موضوع محلي فأنت ترى تلك الروح الوثابة الحساسة تتجلى على كل بيت بل على كل مصراع، بل ربما على كل كلمة من كلماته، وأغلب المواضيع المحلية متعلقة بحوادث ووقائع تمت إلى وادي ميزاب بنسب قريب وتشعر برقة عواطف غريبة يحملها الشاعر لواديه غير ذي زرع. وتدرك مقدار ماله فيه من الوله والحب والإنعطاف.

«وأبو اليقظان إلى جانب ميزابيته التي يفاخر بها، وله الحق، عربي يجاهد ويجالد في سبيل العروبة، ووطني يناضل ويقارع في سبيل الوطنية ومسلم أخلص لله دينه يجعل الإسلام⁽²⁾ في الصف الأول من كل أعماله».

أما إذا قال أبو اليقظان متألما لحوادث القطر الجزائري، فإنه يسيل

(2) سوف نحلل رؤيته الإسلامية الأصيلة بعد حين.

العبرات دما ويجرح القلب تأثراً، ويبعث في النفس شعورا حيا
وإحساسا ساميا، وكان شاعرنا قد جمع كل حواسه وإحساساته في
قصيد واحد هو قصيد الديوان، ضمنه رثاء الصحافة الجزائرية المقيدة،
وعبر به عما يشعر به الوطني عندما يكبل قلمه ويقيد لسانه، فسار مع
الإجادة شوطا بعيدا وأبدع ماشاء له الإبداع.

وختم ديوانه بما ينم عن نفس طموحة وقلب مفعم بالإيمان
والتفاؤل إذ يقول :

يا نخبة الشعب العزيز تنبهاً

لمصيركم إذ حل كل شقاء

وإذ بقيتم راقدين فحسبكم

نار المذلة داخل الأحشاء

وأعيدكم منها فأنتم سادة

من نسل قوم قادة عظماء

ولا يسعنا مع هذا، إلا أن نقدم ثناءنا العاطر للمطبعة العربية

الفتية في الجزائر. فقد أخرجت لنا هذا الديوان كباكورة لأعمالها⁽³⁾

فكان ديوانا لطيف الشكل جميل الطبع حسن الورق.

ونهنىء شاعرنا أبا اليقظان، بهذه التحفة الأدبية التي أخرجها

(3) إن الجزء الأول من ديوان أبي اليقظان قد صدر سنة 1931، أما الجزء

الثاني فقد صدر سنة 1989م تحت إشراف الدكتور محمد ناصر، ولا بد أن

نشر أن الشيخ أبا اليقظان قد أسس مطبعة عربية سنة 1931 وتعد

من المطابع العربية الأولى في القطر الجزائري ولعبت دوراً حيوياً في

الدفاع عن العربية والإسلام.

لأبناء العربية في هذه البلاد، ونقول له وقد تذوقنا طعمها المستطاب
هل من مزيد؟! (4)

ملاحظتنا : وفاء لهذا الشيخ الكريم، والمجاهد الصبور، نقول : إن
الشيخ أبا اليقظان رحمه الله كان مثالا للعتاء الفكري، حيث حمل
هموم أمة الجزائرية المسلمة وأمه الكبرى في قلبه ودمه دفاعاً عن
الإسلام، ولغة القرآن، ومصير المسلمين. وكان سلاحه الأول الإيمان
بالله، وبرسالة الإسلام، التي أبرزها من خلال صحفه، الداعية إلى
وحدة المسلمين ونبد الخلافات المذهبية التي يستغلها اليهود
والصليبيون لضرب أسس وحدة المؤمنين يقول رحمه الله : (إنما
المؤمنون إخوة... يا لله العجب أيتألب أعداء الإسلام ويتحدون على
تقويض معاملة وبينهم فراسخ من اختلاف اللغات والأديان والمذاهب
والمنازع والمشارب ونختلف نحن على صيائه وحمايته والذود عن
بيضته ودفح الكيد والأذى عنه وقد جمعت بيننا روابط الوطن والله.
والدين ووحدت بين أهوائنا علائق المصالح والآلام؟ وحدوا صُفوفكم
رعاكم الله. وأجمعوا جهودكم، وضموا قواكم، وسيروا إلى الأمام
بقلوب مفعمة إيماناً ونفوساً طافحة صدقا وإخلاصاً، فإن الحالة حرجة
للغاية والأمر في شدة الخطر) (5).

(4) نشر هذا المقال في مجلة الشهاب في جمادى الثانية 1350 هـ الموافق
لأكتوبر 1931م - ص: 606-607-608.

(5) وادي ميزاب ع: 116 - 1929/01/11. نقلاً عن الدكتور محمد
ناصر أبو اليقظان وجهاد الكلمة ص: 121.

إن الناقد حينما يتأمل ما كتبه أبو الصحافة الجزائرية أبو اليقظان رحمه الله في الصفحة الأولى من أول جريدته التي أنشأها وهي وادي ميزاب يدرك أنها تحمل روح أصالة الوعي الإسلامي الحقيقي الهادف إلى محاربة العواطف الفردية والجهوية والمذهبية ولا يكون هذا، إلا بالتعاون وتعبئة الطاقات الروحية والمادية لدفع المضار المهددة لمصيرنا الواحد، حاضرا ومستقبلا.

يقول رحمه الله : «أيها الجزائري الماجد، اعلم أن القطر الجزائري مدينة واحدة تاريخية. مسورة واحد وهو الإسلام، وسكان دورها هم سكانه، فلا يمنع انحياز كل في داره، ومحافظة على مميزات عائلته فيه سائر سكان المدينة من التعاون والتعاقد على جلب المصلحة لها. ودرأ المضره عنها، فإن مصلحة المدينة هي مصلحة ديارها، ومضرتها هي مضرتها، إذا أقبل النهار فعلى الجميع، وإذا هجم الليل فعلى الجميع»⁽⁶⁾. من خلال هذه الفقرات الذهبية نقول مع الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، إن أبا اليقظان وطني يناضل ويقارع في سبيل الوطنية ومسلم أخلص لله دينه يجعل الإسلام في الصف الأول من كل أعماله.

ما أخرج أمتنا الجزائرية المسلمة اليوم إلى هذه الأخلاق السامية في هذه الظروف الحالكة التي تمر بها. لتخرج إن شاء الله إلى شاطئ السلامة متماسكة محافظة على دينها ووحدتها ومصيرها وتاريخها.

(6) الإفتاحية، وادي ميزاب، ع:1 - 1926/10/01. نقلًا عن الدكتور محمد ناصر أبو اليقظان وجهاد الكلمة ص:63.

19) - ميزاب : العالم المسحور بالصحراء الجزائرية
بقلم : مصطفى نبيل «العربي» العدد: 286 سبتمبر 1982⁽¹⁾

لم يكون الوصول إلى وادي ميزاب سهلا، بل يشبه سباق تخطي الحواجز، وانتهت متاعنا لدي وصولنا إلى مطار غرداية الذي يبعد عن العاصمة نحو 600 كيلومتر في قلب الصحراء، وفي الطريق من المطار إلى البلد ومنذ الخطوات الأولى من رحلتنا، أخذنا تماما بالمكان وما يحمله من ايهاءات جمالية وتاريخية.

في هذه المجتمع يزداد كبار السن من الشيوخ بلحاهم الطويلة البيضاء - وتكاد تختفي المرأة من أزقتها، مجتمع لا تجد فيه أميًّا واحدا بل ويندر أن تجد فيه من لا يتحدث العربية بطلاقة إلى جانب اللغة البربرية المحلية، ولديه نظامه الخاص في التكافل الإجتماعي ونظامه في حل الخلافات التي تظهر بين أفرادها، مجتمع يأخذ نفسه بالشدة ويتمسك بتعاليم الدين الحنيف⁽²⁾.

(1) نريد أن نقدم للقارئ الكريم نموذج من نماذج بعض المقالات التي تحرر في الصحف والمجلات المختلفة حول ميزاب، إلا أن هذه التحقيقات في أغلب الحالات تحرف، لأسباب تاريخية وأهداف نفسية واجتماعية وقد تكون مادية - ولكن الواقع يكشف الحقيقة كما هي، ولعل هذا المقال دليل على ما قلناه، لتأمل جيدا ما جاء فيه.

(2) يجب أن نصحح هذه المفاهيم الخاطئة :

أ) - إن النسبة المئوية السكانية تؤكد بميزاب أن حوالي 75٪ هي من الشباب.

=..

وساهم الماضي في تمسك أفراد هذا المجتمع بكل ما فرّوا من أجله إلى هذه المنطقة النائية، مما يؤكد أن الإضطاد والملاحقة لا يقضيان أبدا على فكرة بل يساهمان في الحفاظ عليها والتمسك بها.

ومع بداية جولتي حذرني صاحبي بقوله : «إن العديد من معتقداتهم تعتبر من خصوصياتهم التي لا يرحبون بالكشف عنها ولا يرحبون بالغرباء كثيرا، وعندما توجه سؤالاً لأحدهم لا تتلقى الإجابة إلا بعد استشارة شيخهم»... وعندما التقيت بعدد منهم وجدت العكس تماما، ولقيت منهم الحفاوة والترحيب، والرد على

=.. ب) - قوله : إن المرأة تكاد أن تختفي من الشوارع، والعلّة تكمن أن المرأة تلتزم بشريعة ربها، لأن القوامة تكون أسامًا للرجل، لأن تجارب العالم الغربي أكدت وأثبتت أن خروج المرأة إلى العمل أوجدت مجتمعا مريضًا تربويًا ونفسيًا - راجع كتاب شبهات حول الإسلام للسيد محمد قطب - الإسلام والمرأة ص: 110-158.

ج) - أما بالنسبة إلى اللغة البربرية الميزابية فهي جزء من شخصية المسلم بميزاب، وهي يعتز بها في إطارها الإسلامي، دون أن يتنكر للغة العربية التي دافع عنها بالنفس والنفيس الآباء منذ القديم إلى يومنا هذا، لأن هؤلاء أدركوا بحسهم الفطري - لا إسلام بدون قرآن ولا قرآن يفهم جوهر أسراره بدون لغة عربية نظيفة بعيدة عن التعصب العرقي.

د) - فالمجتمع الإسلامي بميزاب لا يأخذ نفسه بالشدة ولكن برحمة الإسلام، لأنه يرفض الإزدواجية بين القول والعمل - راجع : هذا الدين للأستاذ سيد قطب. و... هل نحن مسلمون للأستاذ محمد قطب؟.

جميع استفساراتي، فالفارق لديهم كبير بين الأجنبي والعربي، بل ولاحظت أن الكثيرين منهم يتابعون بشغف أحداث المشرق العربي، ويناقشون قضاياها باهتمام بالغ⁽³⁾.

وأكثر ما جذب إهتمامي بعد البشر ونظمهم، معالم العمارة التي يؤكد الخبراء أن وادي ميزاب يضم المجموعة الإسلامية الهندسية الرئيسية في الصحراء وأقدمها جميعاً، وهي تتميز بدقة وجمال لا في المساكن فحسب بل وفي أعمال الري⁽⁴⁾ والدفاع أيضاً، وأول ما يلفت النظر التناغم والإنسجام بين المباني.

فهذه العمارة عمل أصيل وانعكاس لتقائمي للبيئة والفكر

(3) إن هذه الفقرة الأساسية تجعلنا أيتها المسلم الكريم تدرك أن المفاهيم الخاطئة يراد إلصاقها صاحب محرر هذه المقالة بحق الإباضية وهذا الأمر ليس بعجيب مادام يستمسك بأقوال أصحاب المقالات القديمة، وتريته الإجتماعية التي هي بعيدة عن الأخلاق الإسلامية، إلا أن السيد مصطفى نبيل صاحب الإستطلاع حينما احتك عملياً بعدد من اخوانه المسلمين الإباضيين أدرك حقيقة الأمر، بأن هؤلاء لهم إحساس مرهف بقضايا العالم العربي والإسلامي! إن هذه الشهادة هي الحد الفاصل بين الحق والباطل.

(4) إن الميزابين قد استغلوا مياه السيول وذلك بجلبها من أعالي الشعب وتوزيعها على الأجنة من خلال قنوات توزيعاً عادلاً، ثم يحول فائض تلك السيول في سدود بنيت بمواد محلية وهذا الأمر يتطلب كفاً مريزاً مع الطبيعة الصحراوية القاسية، ويقال: إن الشيخ حمو والحاج المتوفى سنة 1102 هـ هو المهندس لهندسة الري التي حيرت مهندسي الجامعات بسبب دقتها في توزيع المياه على الأجنة المتباينة في انخفاضها وارتفاعها على مستوى الوادي.

الإجتماعي والتقاليد والوضع الإقتصادي⁽⁵⁾.

- حلقة العزابة⁽⁶⁾ : «فكل مدينة بها جماعة تقودها تسمى حلقة العزابة وهو نظام قائم منذ ما يزيد عن تسعة قرون.. وينتقى لهذا المجلس صاحب المعرفة والسيره الصالحة ويشترط أن يكون حافظاً للقرآن الكريم وملتزماً بأحكام الشريعة الإسلامية، ويتكون المجلس من 12 عضواً وتقوم حلقة العزابة بالفتوى فيما يختلف عليه الأهالي ووضع قواعد مقررة للمشاكل الجديدة ويتولى مجلس العزابة الإشراف على تدريس القرآن لأبناء المدينة، ورئيس الحلقة هو الشيخ أو المفتي الذي يتولى التدريس والخطابة في الجامع، ويفصل أعضاء العزابة في المنازعات في جلسات تعقد في صحن الجامع بين صلاتي الظهر والعصر، كما تقع على عاتقهم مسؤولية الحراسة داخل الأسوار وينظمون الأسواق والمسلك، وسواقي المياه والسدود، ولا يتقاضى أعضاء مجلس العزابة أجراً على أعمالهم هذه.

ولأعضاء العزابة أيضاً دورهم الإجتماعي، فلا يقع في مدن ميزاب ما يقع في غيرها من اختلاف بين العروسين على المهر، فأعضاء العزابة وحدهم هم الذين يحددون المهر، مهما تكن أسرة العروس أو

(5) راجع : القسمة وأصول الأراضين كتاب في فقه العمارة الإسلامية للشيخ أبي العباس أحمد بن محمد النفوسي (ت504هـ). تحقيق : د. محمد ناصر والشيخ بكير بن محمد الشيخ بلحاج.

(6) راجع : التعليق الذي كتبناه حول المقال الذي كتبه د. محمد الطالبي : إن المذهب الإباضي من أعظم المذاهب الإسلامية أهمية وأقدمها ظهوراً.

جمالها، ومهما كان غنى الزوج، ويترك لأسرة العروسين تحديد موعد الزفاف فحسب.

والدليل الحاسم على نجاح حلقة العزابة هو إلغاء الأمية في ميزاب، ففي الجوامع يتعلم أبناء القرية مبادئ الكتابة واللغة العربية ويحفظون القرآن الكريم، وهي صورة فريدة فالنجاح في القضاء على الأمية حلم غالٍ لم تنجح في الوصول إليه العديد من أصحاب النظريات الحديثة» مصطفى نبيل «العربي» العدد: 286 سبتمبر 1982 (7).

(7) إن هذا الإستطلاع توجد فيه عدة ثغرات واضحة، ولا نريد أن نقوم بنقده وهذا الأمر يدفعنا إلى الخروج عن صلب موضوعنا الأساسي وهو التركيز على المحاور الأساسية في الفكر الإباضي، ولا بأس أن نورد بعض المزايق التي جاءت في ذلك المقال : «ويسود شعور بإمكانية الإستغناء عن الحكومة المركزية، وبالفعل كان لإقامة مَخْفَرِ الشرطة في بني يزفَن بعض أوجه المقاومة من الأهالي» - نفس المقال ص: 114.

إن صاحب الإستطلاع السيد مصطفى نبيل في نظري قد تأثر مرة أخرى بصاحبه في نقل هذه الصورة الخيالية التي لا توجد إلا في ذهنه، والتي تجعل القارئ نفسيا يعيش في جو المقاومة الفلسطينية أو المقاومة الشيشانية، فهل الدولة الجزائرية بسلاحها الجوي والبري عاجزة عن سحق تلك المدينة الآمنة الصغيرة، نقول لهؤلاء : اتقوا الله، في السر والعلانية، ويصدق فيهم قول الرسول الكريم : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» متفق عليه... وفي رواية : «وإن صام وصلّى وزعم أنه مسلم». ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين﴾ «الأحزاب: 24».

(20) - مفاهيم يجب أن تختفي بقلم : الشيخ علي يحي معمر⁽¹⁾

أهل السنة وأهل البدعة :

اعتاد أتباع كل مذهب أن يطلقوا على أنفسهم أحب الأسماء كأهل السنة، أهل الإستقامة، وأن يطلقوا على مخالفيهم أقبح الأسماء، كأهل البدع أهل الأهواء، أهل الزيغ، وكان الكثير منهم يفتحون أبواب الجنة على مصاريعها لأتباعهم، ويقفلونها بإحكام أمام أنظار الآخرين، ويبلغ بهم التطرف إلى أن يقدموا فساق مذاهبهم

(1) الشيخ علي يحي معمر النالوتي النفوسي الليبي الذي ولد بمدينة نالوت الليبية سنة 1919م نشأ رحمه الله في أسرة محافظة تتلمذ أول مراحل الابتدائية في بلدته ثم تونس، وأخيراً استقر المقام به في معهد الحياة بالقرارة - جنوب الجزائر وذلك سنة 1938م.

فقد ساهم رحمه الله في إثراء الفكر الإسلامي وصحح عدة مفاهيم لصقت بالفكر الإسلامي أهم مؤلفاته : - الإباضية في موكب التاريخ 4 حلقات - الإباضية بين الفرق الإسلامية.
- الإسلام والقيم الإنسانية.
- فلسطين بين المهاجرين والأنصار.

توفي رحمه الله 15 جانفي 1980م بطرابلس الغرب.

ملاحظة : إن النصوص التي طرحت في هذا البحث هي لعلماء لا يتسبون إلى المدرسة الإباضية ماعدا هذا النص الوحيد للشيخ علي يحي معمر، نظراً لقيمته المنطقية والأخلاقية والتاريخية.

على صلحاء غيرهم.

ومن الأمثلة القرية لذلك أن فقهاء الأشاعرة يقولون : بأن المسلم العاصي لا يخلد في النار وإن دخلها، ولكن بعضهم يستثني المعتزلة من هذه القاعدة فيرميهم جميعًا في النار بصلحائهم وفساقهم ثم يحكم عليهم بالخلود فيهم رغم أنهم مسلمون⁽²⁾.

الفرق الإسلامية كلها - في دعواها - ترجع إلى أصلين ثابتين هما : الكتاب والسنة، وكل فرقة تزعم وتصر أنها هي التي تعمل بالكتاب وتحافظ على السنة، وأن غيرها ليس كذلك.

وعلى هذا الأساس قام ناس فاحتكروا لأنفسهم إسم أهل السنة

(2) إن هذه الأحكام الفاسدة لا تزال تؤثر في بعض العلماء فضلًا عن عامة الناس، وهذا الحكم يتناقض كل التناقض مع الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث الشريفة، لأن الحساب يوم القيامة يكون على حسب عمل الإنسان وحده الذي يتحمل جزاء فعله.

لتأمل هذه الأدلة الشرعية الواضحة كعين الشمس : ﴿وكل إنسان أزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا﴾ (الإسراء: 13-14).

روي أنه عليه السلام قام حين نزلت عليه : ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾ (الشعراء: 214)، فقال محمد عليه السلام : «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أعني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أعني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أعني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمه رسول الله لا أعني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد سليماني ما شئت لا أعني عنك من الله شيئًا» رواه البخاري ومسلم.

وناس أهل الإستقامة وناس أهل الحق⁽³⁾ فأطلقوا على غيرهم عند التعميم كلمة المبتدعة أو أهل الأهواء أو غيرها من كلمات التضليل، كما قسموا أهل البدع في نظرهم إلى مذاهب، ثم ألقوا بكل طائفة أو فرقة أحكاماً خاصة بها أو تشرك فيها مع غيرها.

فأصبح كل مذهب من مذاهب المسلمين إذا نظرت إليه من زاوية أتباعه هو مذهب السنة ومذهب الحق ومذهب الإستقامة، وإذا نظرت إليه من زاوية مخالفيه فهو مذهب الأهواء ومذهب البدعة، ومذهب الضلال، وينشأ الناشئ المسلم في أكناف أحدها، فتعتاد أذنه على سماع هذه الأوصاف والنعوت ويتلقاها ويتشربها في غير كلفة حتى تصبح عقيدة غير خاضعة للنقاش أو المراجعة⁽⁴⁾.

إن جميع المسلمين الذين يرجعون في ديانتهم إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة هم من أهل السنة، من أي فرقة كانوا ولأي مذهب اتبعوا.

وقد كانت العصبية المذهبية وأصابع السياسة، وتُعدُّ بعض

(3) قال الأستاذ مصطفى الشكعة : إن تسمية جمهور المسلمين بأهل السنة تسمية متأخرة، يرجع تاريخها إلى حوالي القرن السابع الهجري أي بعد عصر آخر الأئمة المتهورين، وهو ابن حنبل بحوالي أربعة قرون. (المطالعات الإسلامية في العقيدة والفكر ص: 97 - أهل الإستقامة : هذا المصطلح ظهر عند الإباضية في القرن الثاني الهجري.

(4) هذه حقيقة قد أكدها العالم النفساني السويسري كارل غوستاف يونغ (1874-1961) من خلال اللاشعور الجمعي الذي يؤثر في أحكامنا بطريقة لا شعورية - راجع كتابنا الإسلام ومدرسة فرويد ص: 68-69.

المسلمين عن بعض وجهل أهل كل مذهب بما عليه الآخرون حواجز تحول دون تعرف المسلمين بعضهم ببعض أما الآن وقد اختلط المسلمون بعضهم ببعض وعرف الكثير منهم الكثير عن الآخرين، فإنه ينبغي أن تختفي بعض المصطلحات أو بعض المفاهيم، وتنشأ بدلاً منها مفاهيم أو مصطلحات أخرى، تكون أقرب إلى توحيد جميع صفوف المسلمين وتوحيد كلمتهم.

فلا معنى أبداً أن يأتي إنسان يسهل عليه تماماً أن يستخف بأحكام الله، فيرتكب ما نهاه عنه ويهمل ما أوجبه عليه ثم يزعم - في تبجح ظاهر - أنه سني أو من أهل السنة، فإذا قابله إنسان آخر لا يتفق معه في المذهب رماه بأنه مبتدع رغم الصلاح والتقوى والحقيقة عكس ما يقول.

لقد آن الأوان لأن تطلق كلمة أهل السنة على أهل الصلاح من كل فرقة، وكلمة السني على كل فرد مستمسك بالإسلام محافظ عليه حسب الأصول التي يركز عليها المذهب الذي ينتمي إليه، وأن تطلق كلمة المبتدعة أو أهل الأهواء على مجموعة من الناس غير ملتزمة للإسلام سلوكاً، وكلمة المبتدع أو صاحب البدعة على كل متهاون بأحكام الإسلام حسب المذهب الذي ينتمي إليه.

أهل السنة هم الأتقياء الصالحون من أي مذهب كانوا والمبتدعة وأهل الأهواء هم الفسقة الفجرة ولو لبسوا جبة جابر وطَيْطَسَانَ⁽⁵⁾ مالك وعمامة أحمد واتخذوا لمظهرهم سَمْتٌ زيد

(5) الطيلسان هو كساء أخضر يلبسه العلماء الكبار.

وجعفر لقد آن لتلك المفاهيم - التي أملاها التطرف في التعصبات - أن تختفي.

وآن للمؤسسات العلمية الإسلامية أن تغير مناهجها ودراساتها وآن لمن يهتم بالإسلام والمسلمين في هذا العصر أن ينظر نظرة أخرى يملئها واقع الحياة للأمة المسلمة ضمن الإطار العام لمبادئ الإسلام⁽⁶⁾...

وفي هذا التصور الإسلامي الخالص، لا بد أن نشير إلى أن المذهب التربوي عند مدرسة الإخوان يقوم على هذا الأساس وهكذا فإن سيد قطب رحمه الله يقول : «إن الإسلام ينفي كل نكرة جنسية أو عنصرية وأن هناك ميزانًا واحدًا لتقدير الأفضلية وهو تقوى الله وطاعته والعمل الصالح في عباده»⁽⁷⁾.

إن نجاح المسلمين اليوم يكمن في هذه العقيدة الخالصة النقية القائمة على تقوى الله لا غيرها.

(6) علي يحيي معمر : الإباضية بين الفرق الإسلامية - ص: 397-400
المطبعة العربية - غرداية - الجزائر 1987.

(7) سيد قطب «نحو مجتمع مسلم» ص: 92 - ط: 7 - دار الشروق بيروت.

- الخاتمة -

بعد هذه الدراسة التحليلية المجملة يمكننا أن نخرج بالنتائج التالية :
(1) إن الموضوعات التي طرحت في هذا البحث ركزت على نصوص مباشرة كتبها عدة علماء لا ينتمون إلى الفكر الإباضي ماعدا الشيخ علي يحيي معمر رحمه الله، بينما بكل جلاء، بعد المقارنة والموازنة والتحليل التاريخي، ورد الفكرة إلى مصدرها الأول ومناقشة الآراء المختلفة الصادرة عن الإباضية وغير الإباضية. مناقشة موضوعية، هادئة، أن السياسية الحاكمة آنذاك هي التي شوهت المذهب الإباضي وألصقت به الفكر الخارجي، وأن أصحابه من أهل البدع والتطرف الديني.

(2) إن الدراسات المعاصرة التي اهتمت بدراسة الإباضية فهي تعتمد على المصادر القديمة دون نقدها ثم تكرر ماجاء فيها، بعبرات متشابهة، ولا بد لهؤلاء أن يتقيدوا بالروح النقدية ثم الشجاعة لأصدار أحكام موضوعية بعيدة عن الأحكام المسبقة، ملتزمين بالروح العلمية الإسلامية.

(3) بينت هذه الدراسات أن المذهب الإباضي يعد أقدم المذاهب الإسلامية وهو يعتمد على القرآن الكريم والسنة الشريفة والقياس والإجماع كبقية المذاهب الإسلامية الأخرى بل يأخذ ببعض آراء تلك المذاهب وبالتالي له فقه مقارن.

(4) إن الإباضية ليسوا خوارج سواء كان الخروج سياسيا أو دينيا إذ جعلوا كلمة التوحيد لا إله إلا الله. محمد رسول الله هي الحد

الفصل بين المسلم والكافر، بحيث تعصم المسلم من دمه، روحه، عرضه، أمواله، وأولاده.

(5) إن الإباضية ينظرون إلى الإسلام نظرة كلية شاملة بدون انفصال بين القول والفعل، فقد ساهموا مساهمة فعالة في نشر الإسلام واللغة العربية بإفريقيا الغربية والشرقية وهم يعتمدون على القدوة الحسنة والإقناع والتربية في نشر الإسلام.

(6) إن التراث الإباضي يعد رافدا من روافد التراث الإسلامي إلا أن أغلبته لا يزال مخطوطا ولم يظهر لأسباب سياسية خالصة فالإباضية بدورهم يتحملون جزءا من هذه المسؤولية، إلا أن بعض من هذا التراث رأى الضوء بفضل سلطنة عُمان وبعض مجهودات فردية خاصة.

وقبل الأخير نقول : إن دواء المسلمين يوجد بأيدينا لمعالجة أمراضنا الأخلاقية والاجتماعية حتى تتحقق إن شاء الله الأخلاق القرآنية عمليا في سلوكنا اليومي بيننا، لأن مصير عالم المسلمين أمسى مهددا بالسقوط من قبل أعدائه اليهود والنصارى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ «البقرة: 120». إن هؤلاء وبعض المسلمين المرضى أمسى همهم الوحيد هو إثارة المشاكل الاختلافية بين المسلمين، والتي لا قيمة لها إزاء العمل السلوكي الصالح اليومي الذي هو الأساس لبناء الحاضر والمستقبل يقول شهيد الإسلام حسن البنا رحمه الله : «والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببا للتفرق في الدين ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره، الأصل الثامن - رسالة التعاليم - .»

أيها المؤمنون : فليتق كل واحد منا ربه حق تقاته ولنؤمن بإيماننا صادقاً جازماً، بأن الموت يلاحقنا في كل لحظة، وكل ما يصدر عنا سوف نحاسب عليه : قول، فعل، سلوك، فتوى، كأفراد لا كجماعات يقول الحق تعالى : ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ (الإسراء:14). ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ (الأنبياء:47).

يقول الرسول الكريم : «يامعشر قريش أشترؤا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد الله المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفيية عمّة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً» أخرج البخاري ومسلم. هذه هي العدالة الإلهية المطلقة التي جاءت، تخاطب فطرة الإنسان، بحيث لا تميز بين هذا وذاك. والأهم من كل هذا تجعل الإنسان هو المسؤول الأول الذي يحاسبه الله وضميره، مهما طلب تبريراً لفعله باسم رؤية وفتوى العالم، التي قد تتنافى مع أحكام القرآن والسنة.

لنتأمل قول الرسول الكريم : وعن وَاِبْنَةِ بْنِ مَعْبُدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ؟ قُلْتُ : نَعَمْ، قَالَ : «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ الْبِرَّ مَا اطْمَأَنَّنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ» حديث حسن رواه أحمد والدارمي.

أخي المسلم الصالح إن تربية الضمير الديني أمست اليوم غائبة في تربيتنا العامة، أسرة، ومدرسة، وإعلاما، لأن الإنسان من طبيعته يطلب اللذة المادية والمعنوية ويعد عن نفسه الألم المادي والمعنوي. وهكذا نلاحظ أن التربية الإسلامية تقوم أساسا على الترهيب والترغيب يقول الله عزوجل : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «النور:24». ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ «النازعات:37-39».

وعن النعمان بن بشير، رضي الله عنهما، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن أهون النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أحمص قدميه جمرتان يَغْلِي منهما دماغه ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا، وإنه لأهونهم عذابا» متفق عليه.

إن هذا المسلك السليم يجب أن نلتزم به في مجالنا التربوي وبدونه نعيش اغترابا وانشطارا في منهجنا التهديبي.

وجدير بنا أن نحكم العقل والأخلاق القرآنية العظيمة في علاقاتنا الفردية والاجتماعية ملتزمين بقول رسولنا الكريم محمد ﷺ في خطبة الوداع :

أيها الناس! إنما المؤمنون إخوة.

فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. فإني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده : كتاب الله وسنة نبيه. ألا اهل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس : إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد. كلكم لآدم، وآدم من تراب. أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا

بالتقوى. ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

وأخيراً أقدم كل تقديري واحترامي إلى جميع الإخوة الذين شجعوا هذا البحث المتواضع من قريب أو من بعيد، خدمة للعلم النافع ووحدة المسلمين ومحبتهم، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان...

ونسأل العلي القدير أن يجعل أمتنا الإسلامية أمة القرآن، وأن يعدها عن مسالك الشيطان، وأن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم... الذي نرجو منه المغفرة يوم الميعاد : ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي والمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ إبراهيم: 41.

والسلام

﴿وقول رب زدني علماً﴾ «طه:114».

- بعض المصادر الإباضية -

- 1- ابن سلام الإباضي (3هـ-9م) كتاب تاريخي.
- 2- أبو العباس أحمد بن محمد بن بكير النفوسي (ت 504هـ) القسمة وأصول الأراضين، كتاب مهم في الفقه العمارة الإسلامية وأثرها في المجتمع.
- 3- أبو عمار عبد الكافي (570هـ-1174م) كتاب الموجز في الكلام وهو يقع في جزئين يعالج فيه المسائل الكلامية والفلسفية.
- 4- أبو غانم الخرساني (2هـ-8م) المدونة الكبرى. تقع في جزئين، تطرح فيها المسائل الفقهية والكلامية.
- 5- أطفيش قطب الأئمة (1332هـ-1914م).
 - تيسير التفسير للقرآن الكريم يحتوي على ستة أجزاء.
 - هميان الزاد إلى دار المعاد، يقع في أربعة عشر مجلدا.
 - شرح كتاب النيل وشفاء العليل وهو يشتمل على 17 مجلدا.
- 6- ابن بركة العماني - أبو محمد عبد الله بن محمد.
 - كتاب الجامع وهو مخصص في الفقه.
- 7- ابن جميع أبو حفص عمرو (8هـ-14م).
 - مقدمة التوحيد وشرحها. وكتاب مهم يعالج علم الكلام.

- 8 - البرادي أبو القاسم بن ابراهيم (8هـ-14م).
 - كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ماأخل به كتاب الطبقات للدرجيني
- 9 - ييوض ابراهيم (1401هـ-1981م).
 - في رحاب القرآن، تفسير سورة : الإسراء، الكهف، النور.
 - فتاوي الإمام الشيخ ييوض في جزئين.
- 10 - الخليلي أحمد. فقيه معاصر
 - جواهر التفسير، أنوار من بيان التنزيل الحق الدامغ.
- 11 - الجعبري (مفكر معاصر).
 - البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية كتاب يشمل على جزئين
 (920ص) تقدم به صاحبه، فنال به شهادة دكتراه الدولة.
- 12 - الجيطالي إسماعيل (750هـ-1349م).
 - قواعد الإسلام في جزئين.
 - قناطر الخيرات في ثلاثة مجلدات وهو لا يختلف عن كتاب إحياء
 العلوم للإمام أبي حامد الغزالي.
- 13 - حمو عيسى النوري. (مؤرخ معاصر)
 - نبذة من حياة الميزابيين الدينية والسياسة والعلمية.
 - دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا.
 * إن هذين المجلدين يبينان كفاح المجتمع المسلم بوادي ميزاب إزاء
 الصليبية المسيحية قديما وحديثا إلى يوم الإستقلال.

- 14 - الحيلاتي سليمان (1099هـ-1688م) نسبة الدين، كتاب في العقائد.
- 15 - الدرجيني أحمد بن سعيد (670هـ-1271م).
- طبقات المشائخ بالمغرب، الكتاب يقع في جزئين يهتم بدراسة التاريخ الإباضي.
- 16 - الريع بن حبيب، حوالي (170هـ-786م).
- الجامع الصحيح مسند الإمام الريع بن حبيب يحتوي على أربعة أجزاء.
- 17 - الرستاقى (خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي) (11هـ-17م).
- منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، هو يشتمل على 22 مجلدا في الفقه وعلم الكلام.
- 18 - السالمي عبد الله (1332هـ-1914م).
- شارق أنوار العقول، وهو كتاب يشتمل على مجلدين يعالج علم التوحيد.
- جواهر النظام في علمي الأديان والأحكام (أرجوزة شعرية) في غاية السبك الأدبي وتقع في أربعة أجزاء. والكتاب يعالج الأحكام الإسلامية والأخلاق الإسلامية.
- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، يقع في جزئين كبيرين يعالجان تاريخ الإباضية وعمان.
- 19 - السعدي (جميل بن خميس) (13هـ-19م).
- قاموس الشريعة يشمل على 92 مجلدا وهذه الموسوعة يحق للعالم الإسلامي أن يعتز بها لأنها عالجت الفكر الإسلامي من جميع زواياه : الدينية، الأخلاقية، الإجتماعية، السياسية.

20 - معمر علي يحي (1401هـ-1980م).

- الإباضية في موكب التاريخ، بليبيا، وتونس والجزائر.

- الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات.

21 - الدكتور محمد صالح ناصر (معاصر).

- له عدة دراسات عربية وإسلامية تتجلى في عدة كتب من بينها :

الشعر الجزائري الحديث، المقالة الصحفية الجزائرية، ومكانة الإباضية في الحضارة الإسلامية الحلقة الأولى والثانية.

22 - الورجلاني أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم (570هـ-1174م).

- كتاب الدليل لأهل العقول لباغي السبيل نور الدليل في ثلاثة

أجزاء. يهتم بالفلسفة والعقيدة والمنطق.

- العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف.

23 - يحي محمد بكوش (معاصر).

- فقه الإمام جابر بن زيد في جزئين. وهوفقه مقارن في أصله.

ملاحظة : هذا جزء من بعض المصادر المطبوعة التي طبعت

بمجهودات خاصة، دون أن نتجاهل كذلك دور وزارة التراث القومي

والثقافة بسلطنة عُمان. التي قامت بمجهودات كبيرة في هذه الفترة

الأخيرة، إلا أن هناك مئات من المخطوطات لاتزال تنتظر الضوء.

ونتمنى أن يجد أبناءنا المسلمون المساعدة المعنوية والمادية لإخراجها

إلى النور بإذن الله.

- فهرس أهم المصادر ومراجع البحث -

- 1 < القرآن الكريم.
- 2 < موطأ الإمام مالك : رواية يحيى بن يحيى الليثي، إعداد أحمد راتب عرموش. ط:4 - 1980 - دار النفائس بيروت.
- 3 < منهل الواردين، شرح رياض الصالحين للإمام حافظ محي الدين أبي زكرياء ضبط الأصل الدكتور صبحي الصالح. دار العلم بيروت - الطبعة الحادية عشر 1985.
- 4 < الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث لعلي يحيى معمر (الطبعة الثانية) المطبعة العربية - غرداية - الجزائر - 1987.
- 5 < الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عمان والبصرة - للدكتور رجب محمد عبد الحليم - مكتبة العلوم بمسقط - عُمان 1990.
- 6 < أبو اليقظان وجهاد الكلمة - للدكتور محمد الناصر - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر- 1980.
- 7 < الأحكام الفقهية في المذاهب الإسلامية الأربعة للشيخ أحمد محمد عساف - دار إحياء العلوم بيروت - ط:2 - 1982.
- 8 < الأصول التاريخية للفرقة الإباضية للدكتور عوض محمد خليفات الأردني ط: 2- المطبعة الشرقية - مسقط عُمان.

- 9) أدب الاختلاف في الإسلام للدكتور جابر الفياض العلواني - دار الشهاب باتنة - 1986.
- 10) إسلام اليوم بين الأصالة والتحريف بكير بن سعيد أعوش - دار الشهاب باتنة - 1987
- 11) الأعلام : قاموس، تراجم لأشهر الرجال والنساء. تأليف : خير الدين الزركلي. ط:2 - 1958-.
- 12) ابن الصغير - أخبار الأئمة الرستمين تحقيق للدكتور محمد ناصر، والأستاذ إبراهيم بحاز المطبوعات الجميلة - الجزائر - 1986.
- 13) البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية : للدكتور فرحات الجعيري، ط:2 المطبعة العربية - غرداية 1991-.
- 14) تاريخ الجزائر : للشيخ أحمد توفيق المدني - المطبعة العربية - الجزائر - 1930.
- 15) التاريخ الإسلامي العام : لعلي ابراهيم حسن، ط:1 - مكتبة الانجلو المصرية - سنة 1959.
- 16) تراجم المؤلفين التونسيين محمد محفوظ دار المغرب الإسلامي - بيروت - ط:1 1982.
- 17) تهذيب التهذيب : الجزء الثاني، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني - حيدرآباد - 1329هـ.
- 18) تفسير القرآن الحكيم (الشهير تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا -

ج:1 الطبعة الأولى 1346هـ - مطبعة المنار - مصر -.

19) الحركة الإباضية في المشرق العربي نشأتها وتطورها حتي نهاية القرن الثالث الهجري - للأستاذ مهدي طالب هاشم دار الإتحاد العربي للطباعة - القاهرة - الطبعة الأولى 1981م.

20) الخلافة والملك - للإمام أبي الأعلى المودودي شركة الشهاب - الجزائر - 1988.

21) دراسة في الفكر الإباضي عمر بن الحاج محمد صالح با، الطبعة الثانية - مسقط - سلطنة عمان.

22) دور فقهاء الإباضية في إسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادي. الدكتور أحمد الياس حسين. مكتبة الضامري السيب سلطنة عُمان - ط:1.

23) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية - الدكتور عرفان عبد الحميد مطبعة الإرشاد بغداد - الطبعة الأولى 1967.

24) الصحوة الإسلامية بين الإختلاف المشروع والتفرق المذموم للشيخ يوسف القرضاوي مكتبة الرحاب - الجزائر.

25) عروبة الجزائر عبر التاريخ : عثمان سعدي - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1982.

26) العقد الفريد : ابن عبد ربه أبو عمر أحمد - دار الكتاب العربي - بيروت - 1983.

- 27، الفقه الإسلامي وأدلته : للدكتور وهبة الزحيلي - الطبعة الثانية دار الفكر - دمشق.
- 28، فقه الإمام جابر بن زيد : تحقيق : يحيى محمد بكوش دار المغرب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى 1986.
- 29، في التاريخ فكرة ومنهاج : سيد قطب الطبعة العاشرة - 1993 - دار الشروق بيروت - القاهرة.
- 30، القرآن تفسيره ومفسروه - السنة روايتها ورواتها عند الإباضية : - ابن الشيخ - المطبعة العربية - غرداية 1984.
- 31، كيف نتعامل مع القرآن : للشيخ محمد الغزالي - دار الإنتفاضة للنشر - الجزائر.
- 32، كتاب الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ط:5 - دار الثقافة بيروت - 1981.
- 33، مجموعة الرسائل للإمام الشهيد حسن البنا - مؤسسة الرسالة بيروت.
- 34، المطلعات الإسلامية في العقيدة والفكر : الدكتور مصطفى الشكعة - دار الكتاب اللبناني بيروت - ط:2 1983م.
- 35، نشأة الحركة الإباضية : الدكتور عوض محمد خليفات الأردني - مطابع دار الشعب - عمان الأردن 1978.

المخطوطات :

الإباضية وعقيدتهم : للدكتور محمد حسن كسبة - جامعة الأزهر -
كلية أصول الدين سنة 1979.

الدوريات :

مجلة الشهاب جمادى الثانية 1350 هـ - الموافق لأكتوبر 1931م
العربي العدد: 286 - سبتمبر - 1982.



الفهرس

«الإباضية في مرآة علماء الإسلام قديمًا وحديثًا»

- الإهداء 02
كلمات مضيئة 03
المقدمة 04

الفصل الأول

آراء العلماء في اختلاف المذاهب الإسلامية

- أ - تمهيد : الإباضية وأصحاب المقالات القديمة والحديثة 09
ب - الإباضية والفكر الخارجي 14
ج - آراء العلماء في أدب الاختلاف في الإسلام 19
1 مع الشيخ محمد الغزالي 19
2 رؤيتنا 21
3 مع شهيد الإسلام حسن البنا 24
4 مع الدكتور يوسف القرضاوي 25
5 رؤيتنا 28

الفصل الثاني

الإباضية في مرآة علماء الإسلام قديمًا وحديثًا

- 1 منزلة الإمام جابر بن زيد عند الصحابي الجليل عبد الله بن عباس
وعند العلماء 32
2 ظهور المذهب الإباضي واصطدامه بالخوارج.
بقلم : الدكتور رجب محمد عبد الحليم 35

- 3) إن الإباضية ليسوا خوارج.
- 40 بقلم : الدكتور عوض محمد خليفات الأردني
- 4) إن الفرقة الإباضية كانت على خلاف عقائدي وسياسي مع فرق الخوارج كالأزارقة والنجدات.
- 44 بقلم : الأستاذ مهدي طالب هاشم العراقي
- 5) موقف الإباضية من الخروج والخوارج.
- 47 بقلم : الدكتور محمد حسان كسية
- 51 لا بد من توضيح المفاهيم
- 6) الإباضية أقدم وأعتق مذهب إسلامي.
- 53 بقلم : الدكتور عمر با
- 7) من جهل علمائنا أنهم لم يطلعوا على كتبهم الدينية ولا على الفقه الإباضي المبني على الكتاب والسنة.
- 61 بقلم : الشيخ عز الدين بن أمين التنوخي السوري
- 8) إن المذهب الإباضي استمد خلوده من متانة أصوله.
- 64 بقلم : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور
- 9) ماذا قال الإمام مالك بن أنس : عن الشهيد أبي حمزة المختار الشاربي الإباضي رحمه الله؟؟
- 67 10) أصول فقه الإباضية كأصول المذاهب الأخرى المعتمدة على القرآن والسنة والإجماع والقياس والاستدلال.
- 71 بقلم : الدكتور محمد وهبة الزحيلي
- ملاحظات عامة :
- 73 توضيح هذا النص من خلال رؤية الشيخ محمد رشيد رضا
- 11) أقدم من اسمه.
- 78 بقلم : السيد عبد الحفيظ عبد ربه

- 12) دولة تيهرت الرستمية.
- 83 بقلم : الأستاذ أحمد توفيق المدني
- 13) الإباضية في الميدان.
- 86 بقلم : الدكتور التونسي عبد العزيز المجذوب
- 14) ابن الصغير ينوه بعدالة الإمام عبد الرحمن بن رستم وورعه 89
- 15) لقد عمل الرستميون البربر طوال فترة حكمهم على نشر العلوم العربية والإسلام.
- 92 بقلم : عثمان سعدي
- 16) دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا.
- 96 بقلم : الدكتور أحمد إلياس حسين
- 17) إن المذهب الإباضي من أعظم المذاهب الإسلامية وأقدمها ظهورًا.
- 99 بقلم : الأستاذ الدكتور محمد الطالبي التونسي
- 18) يقول الإمام عبد الحميد بن باديس عن شيخ الإباضية أبي اليقظان : «مسلم أخلص لله دينه، يجعل الإسلام في الصف الأول من كل أعماله» 104
- 19) ميزاب العالم المسحور بالصحراء الجزائرية.
- 109 بقلم : مصطفى نبيل «العربي» العدد: 286 سبتمبر 1982
- 20) مفاهيم يجب أن تختفي.
- 114 بقلم : الشيخ علي يحيى معمر
- 114 أهل السنة وأهل البدعة
- 119 الخاتمة
- 124 بعض المصادر الإباضية
- 128 فهرس أهم المصادر ومراجع البحث
- 133 الفهرس
- 136 المؤلف وإصداراته في سطور

المؤلف وإصداراته في سطور

- ولد بكير بن سعيد أعوشت بغرداية سنة 1944م.
- خريج معهد الحياة القرارة - ولاية غرداية الجزائر - سنة 1965م.
- التحق سنة 1967م بجامعة بغداد. كلية الآداب قسم الفلسفة،
فتحصل منها على شهادة الليسانس في الفلسفة سنة 1971م.
- عاد إلى الجزائر سنة 1971، فانضم إلى أسرة التعليم الثانوي
مدرسا لمادة الفلسفة في ثانوية عباس لغرور - باتنة سنة : (1971-
1972) ثم ثانوية العربي بن أمهيدي - بسكرة سنة (1972-
1976) وأخيرا استقر به المقام في ثانوية الفيلاي - غرداية سنة
(1976-1995م).

- في سنة 1981 حمل القلم لتصحيح المفاهيم الخاطئة التي ألصقت
بالفكر الإسلامي، معتمدا على الروح العلمية الموضوعية الإسلامية.

ويتجلى هذا العمل في هذه الكتب التالية :

- 1 < دراسات إسلامية في الأصول الإباضية.
- 2 < الإسلام ومدرسة فرويد.
- 3 < القرآن ومذهب داروين.
- 4 < أضواء على الأخلاق الإسلامية والمعاصرة.
- 5 < دراسات تحليلية في موضوعات فلسفية.
- 6 < أبو يعقوب يوسف الوارجلاني والمدارس الكلامية.
- 7 < الإمام ابراهيم بن عمر ييوز وجهاده الإسلامي في الجزائر.

- 8 < قطب الأئمة محمد بن يوسف أطفيش.
 - 9 < إسلام اليوم بين الأصالة والتحريف.
 - 10 < وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية.
 - 11 < حركة أهل الدعوة والإستقامة في مكة والمدينة.
 - 12 < ميزاب يتكلم : تاريخيا، عقائديا، اجتماعيا.
 - 13 < نفحات من السير.
 - 14 < رجال خالدون في ذاكرة الإسلام. -
 - 15 < مسلمات صالحات في روضة الإيمان بمعية الأستاذ أحمد كروم.
 - 16 < الإباضية في مرآة علماء الإسلام قديما وحديثا.
 - 17 < الوجيز في المنطق «مخطوط».
- ملاحظة : له عدة مقالات نشرت في بعض الصحف الجزائرية :
المساء، السلام، الواحة.

